جُـــزْءُ
مَا قَالَ الْمُحَدِّثُوْنَ وَالْمؤَرِّخُونَ فِي الإمَامِ أبي حَنِيفَةَ

للإمام ريحانة الهند وبركة العصر

الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي المهاجر المدني

تقديم وإشراف

فضيلة الشيخ محمد شاهد السهارنفوري

الأمين العام لجامعة مظاهر علوم سهارنفور

تحقيق وتعليق

رضوان الله النعماني البنارسي

المتخصص في الحديث من جامعة مظاهر علوم

النشر والتوزيع

مكتبـــة الشيخ التذكارية، بجوار مظاهر علوم سهارنفور

بسم الله الرحمن الرحيم

الكتاب: جزء ما قال المحدثون والمؤرخون في الإمام أبي حنيفة

تأليف: الإمام الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي

تحقيق وتعليق: رضوان الله النعماني البنارسي

تقديم وإشراف: الشيخ السيد محمد شاهد الحسني

الناشر: مكتبة الشيخ التذكارية سهارنفور

اَلطَّبْعَةُ الأُوْلَى

مُحَقَّقَةٌ وَمُنَقَّحَةٌ

سنة ١٤٣٣ هـ

-BY-

Maktabah Yadgar-E- Sheikh

Mohallah. Mubarak Shah. Near:Jamiah Mazahir Uloom,

Saharanpur,(247001) U.p, India.

Mob.09359950310, 09897946797

وقال الحافظ في التهذيب نعمان بن ثابت التيمي ابو حنيفة الكوفي

مولى بني تيم الله بن ثعلبة وقيل انه من ابناء فارس رأى انسا روى

عن عطاء بن ابي رباح وعاصم بن ابي النجود وعلقمة بن مرثد وحماد بن

ابي سليمان والحكم بن عتيبة وسلمة بن كهيل وابي جعفر محمد بن علي و

علي بن الاقمر وزياد بن علاقة وسعيد بن مسروق [illegible] وعدي بن

ثابت الانصاري وعطية بن سعيد العوفي وابي سفيان السعدي وعبد الكريم

ابي امية ويحيى بن سعيد الانصاري وهشام بن عروة في آخرين

وعنه ابنه حماد وابراهيم بن طهمان وحمزة بن حبيب الزيات وزفر بن هذيل

وابو يوسف القاضي وابو يحيى الحماني وعيسى بن يونس ووكيع ويزيد

ابن زريع واسد بن عمرو البجلي وحكام بن يعلى بن سلم الرازي وخارجة

ابن مصعب وعبد المجيد بن ابي رواد وعلي بن مسهر ومحمد بن بشر

العبدي وعبد الرزاق ومحمد بن الحسن الشيباني ومصعب بن المقدام

ويحيى بن يمان وابو عصمة نوح بن ابي مريم وابو عبد الرحمن المقرئ

وابو نعيم وابو عاصم وآخرون قال العجلي ابو حنيفة كوفي تيمي من رهط

حمزة الزيات كان خزازا يبيع الخز ويروى عن اسمعيل بن حماد

صورة النسخة الخطية بيد الشيخ الطبيب محمد أيوب السهارنفوري رحمه الله.

وفي ذريته قال محمد بن سعد العوفي سمعت ابن معين يقول كان
ابو حنيفة ثقة لا يحدث بالحديث الا بما يحفظه ولا يحدث بما لا يحفظ
وقال صالح بن محمد الاسدي عن ابن معين كان ابو حنيفة ثقة
في الحديث وقال ابو وهب محمد بن مزاحم سمعت ابن المبارك
يقول افقه الناس ابو حنيفة ما رأيت في الفقه مثله وقال ايضا لولا
ان الله تعالى اغاثني بابي حنيفة وسفيان كنت كسائر الناس
وقال ابن ابي خيثمة ثنا سليمان بن ابي شيخ قال كان ابو حنيفة ورعا سخيا
وعن ابن عيسى بن الطباع سمعت روح بن عبادة يقول كنت عند
ابن جريج سنة خمسين ومائة ١٥٠ فاتاه موت ابي حنيفة فاسترجع
وتوجع وقال اي علم ذهب قال وفيها مات ابن جريج وقال
ابو نعيم كان ابو حنيفة صاحب غوص في المسائل وقال احمد بن
علي بن سعيد القاضي سمعت يحيى بن معين يقول سمعت يحيى
ابن سعيد القطان يقول لا نكذب الله ما سمعنا احسن من رأي
ابي حنيفة وقد اخذنا باكثر اقواله وقال الربيع وحرملة سمعنا الشافعي
يقول الناس عيال في الفقه على ابي حنيفة ويروى عن ابي يوسف
قال بينما انا امشي مع ابي حنيفة اذ سمعت رجلا يقول لرجل هذا

صورة النسخة الخطية بيد الشيخ الطبيب محمد أيوب السهارنفوري رحمه الله.

ابو ثابت هو الذي اهدى لعلي بن ابي طالب رضي الله عنه
الفالوذج في يوم مهرجان فقال مهرجونا كل يوم كذا قال الخطيب
في تاريخه والله تعالى اعلم وادرك ابو حنيفة اربعة من الصحابة
رضوان الله عليهم اجمعين وهم انس بن مالك وعبد الله بن
ابي اوفى بالكوفة وسهل بن سعد الساعدي بالمدينة
وابو الطفيل عامر بن واثلة بمكة ولم يلق احدا منهم ولا اخذ عنه
واصحابه يقولون لقي جماعة من الصحابة وروى عنهم ولم يثبت ذلك عند
اهل النقل ونقل الخطيب في تاريخ بغداد انه راى انس بن مالك رضي الله عنه
واخذ الفقه عن حماد بن ابي سليمان وسمع عطاء بن ابي رباح وابا اسحق
السبيعي ومحارب بن دثار والهيثم بن حبيب الصراف ومحمد بن المنكدر ونافعا
مولى عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهم وهشام بن عروة وسماك بن حرب
وروى عنه عبد الله بن المبارك ووكيع بن الجراح والقاضي ابو يوسف ومحمد بن الحسن
الشيباني وغيرهم وكان عالما عاملا زاهدا عابدا ورعا تقيا كثير الخشوع دائم
التضرع الى الله تعالى ونقله ابو جعفر المنصور من الكوفة الى بغداد فاراده
على ان يوليه القضاء فابى فحلف عليه ليفعلن فحلف ابو حنيفة ان لا يفعل
فحلف المنصور ليفعلن فحلف ابو حنيفة ان لا يفعل وقال اني لا اصلح الى
قضاء فقال الربيع بن يونس الحاجب الا ترى امير المؤمنين يحلف فقال

صورة النسخة الخطية بيد الشيخ الطبيب محمد أيوب السهارنفوري رحمه الله.

ابو حنيفة امير المؤمنين على كفارة ايمانه اقدر مني على كفارة ايماني فامر به
الى الحبس في الوقت والعوام يدعون انه تولى عد اللبن اياما فكيف
بالكذب من مثله ولم يصح هذا من جهة النقل وقال الربيع رأيت المنصور
ينازل ابا حنيفة في امر القضاء وهو يقول اتق الله ولا ترع في امانتك
الا من يخاف الله والله ما انا مأمون الرضا فكيف اكون مأمون الغضب
ولو اتجه الحكم عليك ثم تهددتني ان تغرقني في الفرات او تلي الحكم لاخترت
ان اغرق ولك حاشية يحتاجون الى من يكرمهم لك ولا اصلح لذلك فقال له
كذبت انت تصلح فقال له قد حكمت لي على نفسك كيف يحل لك ان تولي قاضيا
على امانتك وهو كذاب وحكى الخطيب في بعض الروايات ان المنصور
لما بنى مدينته ونزلها ونزل المهدي في الجانب الشرقي وبنى مسجد الرصافة
ارسل الى ابي حنيفة فجيء به فعرض عليه قضاء الرصافة فابى فقال له ان لم تفعل
ضربتك بالسياط فقال او تفعل قال نعم فقعد في القضاء يومين فلم يأته احد
فلما كان في اليوم الثالث اتاه رجل صفار ومعه آخر فقال الصفار لي على هذا درهمان
واربعة دوانق ثمن تور صفر فقال ابو حنيفة اتق الله وانظر فيما يقول الصفار
قال ليس له علي شيء فقال ابو حنيفة للصفار ما تقول فقال استحلفه لي فقال
ابو حنيفة للرجل قل والله الذي لا اله الا هو فجعل يقول فلما رآه ابو حنيفة

صورة النسخة الخطية بيد الشيخ الطبيب محمد أيوب السهارنفوري رحمه الله.

تقديم

مولانا السيد محمد شاهد الحسني حفظه الله

سبط شيخ الحديث مولانا محمد زكريا الكاندهلوي

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله وحدَه، والصلاةُ والسلامُ على من لا نبيَّ بعدَه، أما بعد!

فمن الواقع أن الإمام أبا حنيفة - رحمه الله - كان له مكانةٌ فائقةٌ مرموقةٌ في فهم الكتاب والسنة وإدراك معانيهما، وكمال البصيرة في الفقه، وغاية الذكاء والفطانة وسلامة الطبع وصلاحه، وسرعة النظر والفكر، وفراسة الإيمان وحمية الإسلام، وله منزلةٌ عُليًا في الإنابة إلى الله والزهد والورع والتقوى.

وهذه الصفات مما يُفرِده عن سواه من الأئمة المجتهدين وتُفوّقه عليهم، فالمنع عن قبولها إنما فَقْدُ الثقة والاعتبار على أنفسهم بأيديهم تجاه تأريخ الملة الإسلامية ودورها الريادي للدين الحنيف، لأن وجوده وفواقه في العلم دليلُ صدقِ نُبوْءَتِه صلى الله عليه وسلم، ومظهرٌ واقعيٌّ من مظاهر نبواتِه.

فرُوي في «الصحيحين» و«جامع الترمذي» عن أبي هريرة رضي الله عنه حديثٌ طويلٌ قال فيه: وفينا سلمان الفارسي، قال: فوضع النبي صلى الله عليه وسلم يدَه على سلمان ثم قال: «لو كان الإيمان عند الثريا لتناوله رجالٌ من هؤلاء»، وكذا في «مسند أحمد»:

«لو كان العلم بالثريا لتناوله ناس من أبناء فارس»، فقال الإمام جلال الدين السيوطي - رحمه الله - جزمًا بأن المراد بـ«ناس من أبناء فارس» هو الإمام أبو حنيفة، هكذا نقله الشيخ ابن حجر المكي - رحمه الله - في «الخيرات الحسان» عن بعض تلامذته، وبه صرح السيوطي في «تبييض الصحيفة»، والعلامة محمد بن يوسف الشامي في «السيرة الشامية».

وُلِدَ الإمام سنة ٨٠ هـ، وكان من العجم عند كثير المؤرخين والمحققين، وقال أبو مطيع رحمه الله: إنه من العرب، وهو ليس بصحيح عند المحققين.

اسمه نعمان بن ثابت، وكنيته أبو حنيفة، وكان سبب كنيته بذلك ملازمته للدواة المسماة حنيفة بلُغَةِ العراق. وقال بعضهم: كانت له بنت تسمى حنيفة، ولكنه لا يعتمد على الصحة، لأنه لم يُعلَمْ له ولدٌ ذكر ولا أنثى غير حماد.

كان رَبعةً جميلاً، وحسن الوجه، وأبلغَ نطقًا، وأحلى نغمةً، وأكملَ إيرادًا، وأبينَ حجةً.

وجده زوطى كان أسلم، ووالده ثابت وُلِد في الإسلام، وذهب به والده زوطى إلى علي بن أبي طالب - ﷺ -، وهو صغير، فدعا له بالبركة فيه وفي ذريته، قال حفيد الإمام إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة: قد استجابه الله تعالى لنا، فحصلت لنا بركات الدين والدنيا.

كان الإمام حافظًا للقرآن الكريم، ويتلوه كاملاً في رمضان ستين مرةً.

وكان مسعودًا بالتابعية، قد رأى ولقي أنسًا - ﷺ - مرارًا، فلذا عدَّه الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله في طبقة التابعين بلا تردُّدٍ. ونقل ابن سعد في «الطبقات» عن أبي الموفق سيف بن جابر قاضي واسط قال: سمعت أبا حنيفة رحمه الله يقول: إن أنسًا قدم الكوفةَ، ونزل في موضع «نخ»، وقد خضب بالحمرة، وقد رأيتُه مرارًا.

ويكفي لمعرفة مكانته العلمية وعلوّها أنه قد أخذ العلمَ عن أربعة آلاف من التابعين، ومن كبار شيوخهم: عامر بن شراحيل الشعبي وعطاء بن أبي رباح - رحمهما الله -، اللذَين قد رأيا ولقيا خمسَ مأة، ومائتي صحابي من أصحاب النبي - ﷺ - على الترتيب.

وتلمذ عليه آلافٌ من عامّة العلماء وخاصّتهم، وعُدُّوا من مشاهير المشايخ والمحدثين في عصورهم، وكتب الحافظ أبو الحسن الشافعي عدد تلامذته الأجلة (٩١٨).

ومما يدل على رفعة مكانته في الفقه ما قال الإمام الشافعي - رحمه الله -: من أراد أن يعرفَ الفقهَ فليلزم أبا حنيفة وأصحابه، فإن الناس كلهم عيالٌ عليه في الفقه. وقال أيضًا: من لم ينظر في كتبه لم يتبحر في العلم ولا تفقه.

وقال وكيع بن الجراح رحمه الله: ما لقيتُ أحدًا أفقه من أبي حنيفة، ولا أحسن صلاةً منه.

وروى الخوارزمي عن كعب الأحبار - رحمهما الله - أنه قال: أجدُ أسماء كثير من العلماء مكتوبةً مع أنسابهم وصفاتهم،

كان أحد منهم اسمه النعمان بن ثابت وكنيته أبا حنيفة، متصفاً بشأن رفيع في العلم والحكمة، والزهد في الدنيا، وقائدًا لعلماء عصره، مشرقًا كالقمر لهم، يحسده الحاسدون، حتى يموت.

وعن أبي البختري أن الإمام أبا حنيفة دخل على الإمام جعفر بن محمد الصادق - رحمهم الله -، فلما رآه جعفر قال: إنك تحيي سنة جدي (محمد صلى الله عليه وسلم)، وتكون مأوى لكل مُصاب، ومغيثًا لكل مستغيث، وإذا يقلق الناس، يرجعون إليك، وإذا يضلون تُرشد هم إلى الطريق البيضاء.

وقال أمير المؤمنين في الحديث عبد الله بن المبارك رحمه الله: قدمت الكوفة فسألت عن أعلم الناس فيها، فقالوا: أبو حنيفة، فسألت عن أورع العلماء فيها، فقالوا: أبو حنيفة، فسألت عن أزهدهم، فقالوا: أبو حنيفة، ثم سألت عن أعبدهم، فقالوا: أبو حنيفة.

كان شديدَ الخوف من الله تعالى حتى لا يخلو أيُّ وقت من البكاء، وكان يرتعش عنده جسمه.

روى أبو محمد الحارثي ومحمد بن حماد بن المبارك عن يزيد بن الكميت: سمعت رجلاً يقول لأبي حنيفة: اتق الله، فأعرق، واصفرَّ وجهُه، وطَأطَأَ رأسَه، ثم قال: يا أخي! جزاك الله خيرًا.

وعن قاسم بن معن أَنَّ أَبَا حنيفة قام ليلةً بهذه الآية: ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾، يُردِّدُها ويبكي ويتضرع إلى الله، حتى أصبح.

روى أبو محمد الحارثي عن الإمام مسعر رحمهما الله أنه قال: كنت مع الإمام أبي حنيفة في الطريق إذ وقعتْ قدمُه على قدم طفلٍ ما رأتْه عينه، فقال له الطفل: يا شيخ! أ لا تخاف الاقتصاصَ يومَ القيامة. قال مسعر: ما إن سمع حتى صار مغشيًا عليه، وبقيت واقفًا عنده، فلما أفاق، قلتُ له: قد أخذتْ كلمتُه من قلبك كلَّ مأخذ، قال: بل خِفتُ أن يلقاها الله عزَّ وجلَّ في روعه.

أراد أمير الكوفة يزيد بن عمرو أن يوليه القضاءَ بالكوفة، فأبي، فأمر الأمير بضربه بالسوط عقابًا منه، وهو على الامتناع، فلما رأى ذلك خلى سبيله، فذهب الإمام من الكوفة إلى مكة المكرمة، وأقام هناك إلى أن زال عهد خلافة بني أمية.

وفي آخر عمره أراد الخليفة أبو جعفر المنصور أن يَجعلَه على القضاء، فأبى، فسخط عليه المنصور، فأسره في السجن، وضربه بالأسواط، ولكنه ثبت على الامتناع، حتى تُوفِّيَ في السجن.

وذكر صاحب «تذكرة النعمان» قصة وفاته بأن نقله أبو جعفر المنصور من الكوفة إلى بغداد، وأمره أن يتولى منصب قاضي القضاة، وأن يكون قضاة بلاد الإسلام من تحت أمره، فامتنع، واعتذر إليه، فحلف المنصور عليه ليفعلن، وإلا أُسر في السجن، وأُصيبَ بمصائب شديدة، فأبى الإمام على ذلك أيضًا، ولم يقبل القضاء، فأمر به إلى السجن، وكان يرسل له إن أحببتَ الخلاصَ فاقبَلْ، فيمتنع، ولما شدَّد الامتناعَ، شدَّد المنصور وأمر أن يخرج

كل يوم فيُضرَبَ عشرةَ أسواطٍ، ويُنادى عليه في الأسواق، فأُخرِجَ وضُرِبَ ضربًا مُوجعًا حتى سال عنه الدمُ على عقبيه، ثم أعيد إلى الحبس وضُيِّقَ عليه تضييقًا شديدًا، حتى في مأكله ومشربه، ثم فُعِلَ به كذلك في الثاني، والثالث، ثم هكذا إلى عشرة أيام، فبكى، وأَكَّدَ الدعاءَ فتُوُفِّيَ بعد خمسة أيام، - رحمه الله ورضي عنه -.

وروى أبو محمد الحارثي عن محمد بن المهاجر رحمهما الله أنه رُفِعَ إلى الإمام قدحٌ فيه سُمٌّ ليشرب، فامتنع، وقال: إني لأعلم ما فيه، ولا أُعِيْنُ على قتل نفسي، فطرِحَ، ثم صُبَّ في فيه قهرًا، فمات.

وقال العلامة محمد بن يوسف الشافعي الدمشقي رحمه الله: بلغني أنه أحضر بين يدي المنصور فدعا له بسويق وأكرهه على شربه، فشربه، ثم قام، فقال: إلى أين ؟ فقال: إلى حيث بعثتَني، فمضي به إلى السجن، فمات فيه. - رحمه الله رحمةً واسعةً -.

وروى الحافظ أبو الحسن محمد بن حسين الشافعي والموفق بن أحمد عن أبي حسان الزيادي - رحمهم الله - أن الإمام لما أحس بالموت، خرَّ ساجدًا، وفارقتْه روحُه.

وقعتْ حادثةُ وفاتِه سنة خمسين ومأة (١٥٠هـ)، وأُخرج من السجن بعد أن توفي، فجُهِّز وكُفِّنَ، ثم جاء الحسن بن عمارة قاضي بغداد على جنازته وقال: رحمك الله تعالى وغفر لك، لم تُفطِر منذ ثلاثين سنةً، ولم تتوسد يمينُك بالليل منذ أربعين سنةً،

أنت أفقه فينا، وأعبد، وأزهد، وأجمع للخير، ونحن نُدخِلُك على الخير في قبرك، وقد أتعبتَ من بعدك، وفضحتَ القراء.

وصُلِّيَ عليه ستَّ مرات لكثرة الزحام على ما رواه الخطيب، وصلى عليه خمسون ألف رجل، ودفن في الجانب الشرقي من مقبرة الخيزُرَان.

وعن صدقة المقابري - وكان صدقةُ مجابَ الدعوة - يقول: لما دُفِنَ أبو حنيفة في مقابر الخيزُران سمعت صوتاً من الليل ثلاث ليال يقول:

ذهب الفقه فلا فقه لكم واتقوا الله وكونوا خلفا

مات نعمان فمن هذا الذي يحيي الليل إذا ما سجفا

قدم عبد الله بن المبارك بغداد بعد وفاة الإمام، وقالوا للناس: دُلُّوني على قبره، فدلّوه عليه، فوقف على قبره وقال: يا أبا حنيفة! مات إبراهيم النخعي فترك خليفته، ومات حماد بن أبي سليمان فترك خليفته، ومِتَّ، فلم تترك خليفة لك، ثم بكى ابن المبارك بكاءً كثيراً.

قال الحِمَّاني: رأيتُ في المنام كأن نجمًا سقط من السماء فقيل: أبو حنيفة، ثم سقط آخر فقيل: مسعر، ثم سقط آخر فقيل: سفيان، فمات أبو حنيفة قبل مسعر، ثم مسعر قبل سفيان، ثم سفيان. فذكرتُ ذلك لمحمد بن مقاتل، فبكى وقال: هؤلاء العلماء نجومٌ في الأرض.

☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆

وقد ألف العلماء من المتقدمين والمتأخرين في عصورهم كتبًا مهمَّةً حولَ حياة الإمام الأعظم ومناقبه وفضائله، وأجادوا وصفَ كل جانبٍ من جوانبها بأسلوبٍ أنيقٍ. فذكر العلامة شِبلي النعماني الأعظمي في مقدمة «سيرة النعمان» خمسةً وعشرين كتابًا صنَّفَها الأئمة المتقدمون باللغة العربية حول حياة الإمام الأعظم. وكذلك صنف من بعدهم كتباً مهمّةً حاويةً على تحقيقات نافعة، مما يترك على الأذهان انعكاساتٍ صالحةً نحو تفوُّقه في العلم والفقه والعمل والزهد والورع والتقوى.

نذكر عديدةً منها مع ذكر مؤلفيها تدعو القراءَ الكرامَ إلى مطالعتها، وهي كالتالي:

☆ «مناقب الإمام أبي حنيفة» للإمام موفق بن أحمد المكي المتوفى ٥٦٨هـ.

☆ «الخيرات الحسان في مناقب الإمام أبي حنيفة النعمان» للإمام شهاب الدين أحمد ابن حجر الهيتَمي الشافعي.

☆ «تبييض الصحيفة في مناقب الإمام أبي حنيفة» للعلامة الحافظ أبي الفضل جلال الدين السيوطي الشافعي.

☆ «مكانة الإمام أبي حنيفة بين المحدثين» للدكتور محمد قاسم عبده الحارثي.

☆ «فضائل أبي حنيفة وأخباره ومناقبه» لأبي القاسم عبد الله ابن محمد، المعروف بابن أبي العوام، المتوفى ٣٣٥هـ.

☆ «امام اعظم ابو حنیفہ شہید اہل بیت» للمفتي أبو الحسن شريف الله الكوثري، المتخصص من جامعة علوم اسلامية كراتشي.

☆ «امام ابو حنیفہ کی تابعیت اور صحابہ سے ان کی روایت» (**تابعية الإمام أبي حنيفة وروايته عن الصحابة**) للأستاذ عبد الرشيد النعماني.

☆ «مختصر سوانح ائمہ اربعہ» (**مختصر حياة الأئمة الأربعة**) للشيخ القاضي أطهر المباركفوري الهندي.

☆ «**سيرة النعمان**» للعلامة شِبْلِي النعماني الأعظمي.

☆ «علم حدیث میں امام ابو حنیفہ کا مقام ومرتبہ» (**مكانة الإمام أبي حنيفة في علم الحديث**) للشيخ حبيب الرحمن القاسمي الأعظمي أستاذ الحديث بدار العلوم ديوبند، الهند.

☆ «دفاع امام ابو حنیفہ» (**الدفاع عن الإمام أبي حنيفة**).

☆ «امام ابو حنیفہ کے حیرت انگیز واقعات» (**قصصٌ مدهشةٌ للإمام أبي حنيفة**) كلاهما للشيخ عبد القيوم الحقّاني الباكستاني.

☆ «مقام ابو حنیفہ» (**مكانة الإمام أبي حنيفة**) لشيخ الحديث مولانا سرفراز خان صفدر رحمه الله.

☆ «امام اعظم اور علم حدیث» (**الإمام الأعظم وعلم الحديث**) للشيخ محمد علي الصديقي الكاندهلوي.

☆ «حضرت امام ابو حنیفہ کی سیاسی زندگی» (**حياة الإمام أبي حنيفة السياسية**) للشيخ العلامة مناظر أحسن الكيلاني.

☆ «امام ابو حنیفہ اور ان کے ناقدین» (الإمام أبو حنيفة ونقاده) للشيخ حبيب الرحمن خان الشيرواني.

☆ «مكانة الإمام أبي حنيفة في الحديث» للشيخ المحدث المحقق عبد الرشيد النعماني.

☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆☆

إن جامعة مظاهر علوم أُسِّستْ في مدينة سهارنفور من أشهر مدن الهند بأيدي الأجلة العلماء الصالحين سنة ١٢٨٢هـ/١٨٦٦م، على أهداف نبيلة جليّة من ترويجِ العلوم النبوية والدينية، والنطق بمذهب الإمام الأعظم وتقليده في المسائل الفقهية، والْمعاملات الشرعية، فأُدخِلَ في مقرَّراتها الدراسيةِ كتبُ الفقه الحنفي وفتاواه، فالجامعة تصدر الفتاوى كلَّها عملاً به، والأساتذة فيها يرجحون مذهبه وأدلته في محاضراتهم وأبحاثهم العلمية، احترامًا للأئمة الثلاثة (مالك، والشافعي، وأحمد رضي الله عنهم) وغيرهم، ورعايةً لمكانتهم العلمية وقيمتهم لدى الأنام.

فسيرًا على هذه الدواعي ألف الإمام الشيخ محمد زكريا الصديقي الكاندهلوي الْمهاجر الْمدني كتابًا مُختصرًا جامعًا حولَ حياة الإمام الأعظم رحمه الله، واختار فيه أسلوبًا بديعًا، فلم يقل شيئًا من قِبَله، بل جمع آراءَ وانطباعاتِ المحدثين والمؤرخين التي انتثرت في كتبهم.

وقد وفقني الله تعالى بمنِّه وكرمه لأن أقوم بنشر هذا الكتاب

الثمين الذي ألفه جدِّي ومرشدي الإمام محمد زكريا الكاندهلوي رحمه الله تعالى.

هذا، وقد أُلحقَ بالكتاب من حياة الإمام الأعظم ومناقبه ما ذكره الإمام الكاندهلوي في مقدمة كتابه القيِّم «أوجز المسالك إلى موطإ الإمام مالك» في الباب الرابع منها.

فأشكر شكرًا جزيلاً للأستاذ الفاضل **رضوان الله النعماني البنارسي** المتخصص في الحديث من جامعة مظاهر علوم على أنه أجاب أمري، فقام بتحقيق نصوصه بمراجعها، وعَلَّقَ عليه تعليقاتٍ قيِّمةً نافعةً ازداد بها نفعُه، فجزاه الله تعالى أحسن الجزاء.

والآن تنشر هذا الكتابَ أولَ مرةٍ مكتبةُ الشيخ التذكارية بسهارنفور. فتقبل الله تعالى هذه الخدمة، ورفع مراتبَ الإمام الأعظم العاليةَ، وأسكنه في جنات الفردوس، آمين.

كتبه

سبط المؤلف

السيِّد محمد شاهد الحسني

الأمين العام بجامعة مظاهر علوم سهارنفور، الهند

غرة رجب ١٤٣٣هـ/ ٢٣ مايو ٢٠١٢م.

مقدمة التحقيق

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وأصحابه سادات المتقين وحملة الدين المتين، ومن تبعهم بإحسان من المحدثين والفقهاء المجتهدين. أما بعد!

فإن الإمام الأعظم أبا حنيفة – رحمه الله تعالى – كان عظيمَ المرتبة في الرواية والدراية وحفظِ السنن والآثار، والعلمِ بالناسخ والمنسوخ، ومعرفة وجوه الاستنباط، كما كان من أزهد الناس في الدنيا وأرغبهم في الآخرة وأخشعهم لله تعالى، وأسخاهم للخلق، واشتهر بالورع والتقوى والإنابة إلى الله تعالى، حتى أثنى عليه كبار العلماء والمحدثين والفقهاء، منهم إمام دار الهجرة مالك بن أنس، والإمام الشافعي، وأحمد بن حنبل رحمهم الله، كما ستطلع على أقوالهم في الكتاب بين يديك.

ولكن مع هذا قد تكلم بعضهم في شأنه وقدحوا فيه لحسد أو لجهل، فلذا صنَّفَ العلماء كتبًا منفردةً في بيان مناقبه وخصائله وجهوده في العلم وانتصاراته في الفقه وغير ذلك. وستطلع على بعض المؤلفات في آخر ما علقتُه على «جزء ما قال المؤرخون في الإمام الأعظم» بتوفيق من الله وعونه.

وفي العصر الحاضر لما طفق منكروا التقليد يقدحون في شأن الإمام الأعظم ويسيئون القول فيه وينالون من عرضه، حتى وصلوا له

النهارَ بالليل، ألف الإمام الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي كتابًا مختصرًا دفاعًا عن كيانه وشخصيته الفذَّة باسم «جزء ما قال المحدثون والمؤرخون في الإمام أبي حنيفة».

وإن هذا الكتاب القيّم النافع يُلقي ضَوءًا تامًّا على ما يتعلق بمناقبه ومحامده، ومكانته العلمية: الحديثية والفقهية والاجتهادية وغير ذلك.

والكتاب كان محفوظًا مخطوطًا إلى الآن لدى سبط المؤلف الشيخ محمد شاهد الحسني، فنظرًا لخطورة هذا الكتاب عزم الشيخ الحسني على طبعه، وشدَّ له مئزره، فكلَّف هذا العبدَ الفقيرَ لتحقيقه والتعليق عليه، فاستجبتُ لأمره وبدأتُ فيه بعون الله وتوفيقه.

عملي في الكتاب:

أولاً: قد حققتُ نصوصَه بأن راجعت إلى مصادرها وقابلتها بها، فصوَّبتُ وأثبتُّ من أخطاء وأسقاط ما كان فيها، وأحلتُ النصوص إلى أصلها.

ثم علَّقتُ عليها بالإيجاز بما تيسر لي مِمَّا يرفع بعض الشبهات، كما زدتُ عليها أشياءَ، ظنًّا بأنها ستكون نافعةً جدًّا إن شاء الله تعالى، ولله الحمدُ على ما أنعم وألهم.

هذا، وقد اختص الإمام الكاندهلوي البابَ الرابعَ من مقدمة «الأوجز» بذكر ما يتعلق بحياة الإمام وسيرته، فأشملته كله في آخر هذا الكتاب مع تحقيقه والتعليق عليه، وهذا العمل يكون نافعًا جدًّا إن شاء الله تعالى.

وأقدِّم ببالغ شكري عن أعماق قلبي إلى فضيلة الشيخ السيد محمّد شاهد الحسني السهارنفوري – حفظه الله – على أنه أتاحَ لي فرصةً لخدمة هذا الكتاب القيّم.

وأخص بالشكر الجزيل جميعَ أساتذتي البررة الكرام الذين تَرَعْرعتُ في مهدهم العلمي والديني، وعلى رأسهم أستاذ الأساتذة المحدث النبيل والناقد البصير سماحة الشيخ زين العابدين الأعظمي – حفظه الله وأطال بقاءه بصحة وعافية –، كما لا يفوتني أن أقدم الشكر الجزيل من أعماق قلبي إلى عطوفي الشيخ المحقق محمد معاوية سعدي الغوركفوري (عضو في «مجمع الشيخ محمد زكريا» قد صدر عنه كتاب «جمع الفوائد» للإمام المغربي)، فإنه لم يأل جُهداً في توجيهي وإرشادي. فجزاهم الله خيراً. آمين.

وفي الختام أسأل الله أن ينفع، ويهدي به من يقع في الإمام الأعظم، ويجعل هذه الخدمة ذخرةً لي في الآخرة. والتمس من القراء الكرام العفوَ والصفحَ والإصلاحَ من وجهة النصيحة فيما وقع مني من السهو والخطأ في هذا العمل الميمون.

وصلى الله على النبي الكريم، والحمد لله أولاً وآخرًا.

كتبه العبد الحقير

رضوان الله النعماني البنارسي

المتخصص في الحديث من جامعة مظاهر علوم

١٤ رجب ١٤٣٣هـ/ ٥ يونيو ٢٠١٢م.

جزء
ما قال المحدّثون
فِي الإمام أبي حنيفة

رضي الله عنه

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

نَحْمَدُه ونُصَلِّي ونُسَلِّمُ عَلى رَسُوْله الْكَرِيْمِ

وبعد! فلما كان بعض من ينتمي إلى أهل الحديث – وإن كان مبلغ علمهم الكتب المترجمة ومنتهى كمالهم الجهل عن المباني والأصول واللغات – يُسِيئُون الأدب في شأن من هو أرفع من [أن] يُحصى [مدحه[1]] ويحاط فضله ويؤدى شكره إلا أن جزاه الله عنا وعن سائر المسلمين، ومع كمال جهلهم ينسبون هزلهم إلى علماء الرجال، ولما لم يكن عند كلِّ عالمٍ كتبُ الرجال، فضلاً عن العوام، أردتُ أن أجمع أقوال أهل الرجال فيه – نوَّرَ الله مرقدَه ومراقدَهم– لِأَنْتَفِعَ بها عند الاحتياج إليه وتكون هذه العجالة مُغْنِيةً عن مراجعة الكتب المتفرقة.

ثم بعد ذلك ظهر لي أن أُضِيْفَ إليه شيئًا من كلام أهل التأريخ وغيره، فجعلتُه جزئين: الأول هذا، والثاني جزء ما قال المؤرخون فيه رضي الله عنه، وهو الجزء الثاني لرسالة جزء النعمان.

وأسأل الله تعالى أن يجعل أعمالي [خالصةً [2]] لوجهه الكريم.

---

[1] ووقع في المخطوطة: «حمده».

[2] ووقع في المخطوطة: «خالصًا».

قال الحافظ في «التقريب»:

(ت س) النعمان بن ثابت الكوفي، أبو حنيفة الإمام، يقال: أصله من فارس، ويقال: مولى بني تيم، فقيه مشهور، من السادسة، مات سنة خمسين ومائة على الصحيح. انتهى[1].

---

[1] قلت: قد وقع الذهول هنا من الحافظ ابن حجر حيث قال في الإمام الأعظم: من السادسة، مع أن الحق أن يقول فيه: من الخامسة، فإنه قال مقدمته: الخامسة: الطبقة الصغرى من التابعين، الذين رأوا الواحد أو الاثنين، ولم يثبت لبعضهم السماعُ من الصحابة. والسادسة طبقة عاصروا الخامسة، لكن لم يثبت لهم لقاءُ أحدٍ من الصحابة.

ومن المعلوم أن الإمام أبا حنيفة لقي جماعةً من الصحابة كما أقرَّ به الفحول، ومنهم الحافظ نفسه في «التهذيب» وغيره. وانظر «تبييض الصحيفة» (ص: ١١)، وما سيأتي في آخر هذه الرسالة بعنوان «فائدة» من كلام الشيخ عبد الحي اللكنوي رحمهم الله.

هذا، ولم يذكر الحافظ للإمام الأعظم مرتبةً، قال الشيخ محمد عوامة المدني في تعليقه على «التقريب»: لم يذكر له مرتبةً، كما حصل له هذا في ترجمة الأئمة: الشافعي، والبخاري، والترمذي، والنسائي، وابن ماجهْ. ثم ذكر الشيخ عوامة توثيق الإمام ومدحه من الأئمة الفحول، وقال: ومما ينبه إليه أن المصنف - ومن قبله المزي والذهبي وهم أئمة هذا الفن في العصور المتأخرة - لم يُشِرْ أحدٌ منهم ولو إشارة خفيفة إلى مغمز في الإمام في عدالته أو ضبطه أو **إمامته، لا** في هذه الكتب الثلاثة (التهذيبين والسير) التي نقلت عنها، **ولا في غيرها من** كتبهم. وانظر لزامًا كلام السخاوي في «الإعلان بالتوبيخ» ص: **١١٧ - ١١٨** وتدبره، **لتدرك ما وراءه. بل** ختم المصنف ترجمته في **«التهذيب» بقوله: ومناقب الإمام أبي حنيفة كثيرةٌ جدًا، فرضي الله عنه وأسكنه الفردوس، آمين.**

وقال أيضاً في «التهذيب»:

(ت س) النعمان بن ثابت التيمي، أبو حنيفة الكوفي، مولى بني تيم الله بن ثعلبة، وقيل: إنه من أبناء فارس. رأى أنسًا.

وروى عن: عطاء بن أبي رباح، وعاصم بن أبي النجود، وعلقمة بن مرثد، وحماد بن أبي سليمان، والحكم بن عتيبة، وسلمة ابن كهيل، وأبي جعفر محمد بن علي، وعلي بن الأقمر، وزياد بن علاقة، وسعيد بن مسروق الثوري، وعدي بن ثابت الأنصاري، وعطية بن سعيد العوفي، وأبي سفيان السعدي، وعبد الكريم أبي أمية، ويحيى بن سعيد الأنصاري، وهشام بن عروة في آخرين.

وختمها الذهبي في «السير»: وسيرته تحتمل أن تُفرَد في مجلدين رضي الله عنه ورحمه، كما ختمها في «تذهيب تهذيب الكمال» ٩/٢٥: قلت: قد أحسن شيخنا أبو الحجاج - يريد المزي - حيث لم يورد شيئًا يلزم منه التضعيف. اهـ. والإمام إمام حجة في الجرح والتعديل، من أدلة ذلك: أن الترمذي نقل كلامه في جابر الجعفي في «علله الصغرى» آخر سننه. ولكن من الجهالة الاستدلال على عدم إمامته بما هو دليل عليها. ومن العجيب أن بعض (المتجهدين) ولَّدَ للإمام الأعظم مرتبةً في الجرح والتعديل فقال في تعليقة له على «معجم شيوخ ابن الأعرابي»: صدوق، سيء الحفظ. فأتى بما لم تأت به الأوائل، ولم يُرضِ به الأواخر. وقد أغاظ ما كتبتُه في الدفاع عن الإمام بعض مَن في قلبه مرض، وما علموا أن كتابة المجلدات في مناقبه ومحاسنه وفضائله لا تَفي بمعشار حقه على الأمة الإسلامية، رضي الله عنه وعن سائر أئمة الإسلام وعلمائهم. **انتهى كلام الشيخ محمد عوامة حفظه الله تعالى.**

وعنه: ابنه حماد، وإبراهيم بن طهمان، وحمزة بن حبيب الزيات، وزُفر بن الهذيل، وأبو يوسف القاضي، وأبو يحيى الحِمَّاني، وعيسى بن يونس، ووكيع، ويزيد بن زُرَيع، وأسد بن عَمرو البجلي، وحكام بن يعلى بن سلم الرازي، وخارجة بن مصعب، وعبد المجيد بن أبي روَّاد، وعلي بن مُسهر، ومحمد بن بِشر العبدي، وعبد الرزاق، ومحمد بن الحسن الشيباني، ومصعب بن المقدام، ويحيى بن يمان، وأبو عصمة نوح بن أبي مريم، وأبو عبد الرحمن المقرئ، وأبو نعيم، وأبو عاصم، وآخرون.

قال العجلي: أبو حنيفة كوفي تيمي من رهط حمزة الزيات، كان خَزَّازًا يبيع الخزّ[1].

ويُروَى عن إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة قال: نحن من أبناء فارس الأحرار، وُلِدَ جدِّي النعمان سنة ثمانين[2]، وذهب

---

[1] «معرفة الثقات» (١٨٥٣) لأبي الحسن، أحمد بن عبد الله الكوفي العجلي (٢٦١هـ).

[2] قال العلامة زاهد الكوثري في «تأنيب الخطيب» (ص ٢٠): حكى البدر العيني في «تأريخه الكبير» ثلاث روايات في ميلاده، وهي سنة إحدى وستين، وسنة سبعين، وسنة ثمانين، والاختلاف شديد في مواليد رجال الصدر الأول لتقدم عصرهم على عهد تدوين تأريخ الرجال ومصداق ذلك في وفيات الصحابة فضلاً عن مواليدهم. والأكثرون على أن أبا حنيفة وُلِد سنة ثمانين ترجيحًا منهم لأحدث التأريخ المروية في المواليد وأقدمها في الوفيات أخذًا بالأحوط في الحكم بالاتصال أو بالانقطاع، لكن هذا إذا لم يوجد ما يؤيد ☜

إحدى الروايات.

وهنا أمور تخدش ما اختاره الأكثرون: منها ما فعله الحافظ أبو عبد الله محمد بن مخلد العطار المتوفى سنة ٣٣١ هـ في جزئه الذي سماه «ما رواه الأكابر عن مالك» حيث عدَّ حماد بن أبي حنيفة من هولاء الأكابر فساق حديثًا بطريق حماد بن أبي حنيفة عن مالك، وحماد هذا وإن توفي قبل مالك بنحو ثلاث سنين، لكن عده من الأكابر بالنظر إلى مالك لا يتم، إلا إذا كان ميلاده قبل ميلاد مالك أيضًا، فيجب أن يكون ميلاد أبي حنيفة قبل سنة ثمانين بمدة لا تقل عن عشر سنين ليصح أن يكون ميلاد حماد ابنه قبل مالك، وابن مخلد من الحفاظ البارعين ومن شيوخ الدارقطني، فلا يحيد عن التحقيق فيما يكتب.

ومنها: أن العقيلي روى في ترجمة حماد بن أبي سليمان ما يفيد أن إبراهيم بن يزيد النخعي لما مات اجتمع خمسة من أهل الكوفة فيهم عمر بن قيس الماصر وأبو حنيفة فجمعوا نحو أربعين ألف درهم ثم أعطوه حماد بن أبي سليمان ليستعين به ويتفرغ لرياسة جماعة في العلم، وكانت وفاة إبراهيم النخعي سنة خمس وتسعين، ولو كان ميلاد أبي حنيفة سنة ثمانين لكانت سِنّه عند وفاة النخعي خمس عشرة سنةً. ومن يكون في مثل هذه السن لا يُتصور أن يهتم هذا الاهتمام بمن يخلف النخعي، بل لا بد وأن يكون القائمون بمثل هذا الأمر من كبار تلامذة النخعي فبالنظر إلى مشاطرة أبي حنيفة لهولاء في ذلك لا بد من أن تكون سنه أكبر من هذه السن.

ومنها: أنها قد تضافرت الروايات على أن أبا حنيفة قبل انصرافه إلى الفقه كان جدليًا يشتغل بعلم الكلام حتى هبط البصرة نحو عشرين مرة ليناظر القدرية وغيرهم، ثم انصرف إلى الفقه، ومن تكون سنه عند وفاة النخعي كما ذكرنا لا يمكن له الاشتغال الطويل بالجدل قبل انصرافه إلى الفقه. فيترجح لهذه الأسباب وغيرها أن ميلاده قبل سنة ثمانين، ولعل الأرجح في ميلاده هو سنة سبعين. والله سبحانه وتعالى أعلم. اهـ. فيتم أنه تابعي على التقديرين.

جدي ثابت إلى عليٍّ رضي الله تعالى عنه وهو صغير فدعا له بالبركة فيه وفي ذريته[1].

وقال محمد بن سعد العوفي: سمعت ابن معين يقول: كان أبو حنيفة ثقةً لا يُحدِّث بالحديث إلا بما يحفظه، ولا يحدث بما لا يحفظ.

وقال صالح بن محمد الأسدي عن ابن معين -رحمهما الله-: كان أبو حنيفة ثقةً في الحديث[2].

وقال أبو وهب محمد بن مزاحم: سمعت ابن المبارك يقول: أفقه الناس أبو حنيفة، ما رأيتُ في الفقه مثلَه.

وقال أيضًا: لو لا أن الله تعالى أغاثني بأبي حنيفة وسفيان كنتُ كسائر الناس.

وقال ابن أبي خيثمة: ثنا سليمان بن أبي شيخ قال: كان أبو حنيفة وَرِعًا سَخِيًّا.

وعن ابن عيسى بن الطبَّاع سَمعتُ روح بن عبادة يقول: كنت عند ابن جريج سنة خمسين ومائة (١٥٠هـ)، فأَتَاه موتُ أبي حنيفة فاسترجع وتوَجَّعَ، وقال: أي علم ذهب ؟ قال: وفيها مات ابن جريج.

---

[1] وقد ذكره القاضي أبو عبد الله الصَّيْمَري في «أخبار أبي حنيفة» (ص ١٦) مسندًا إلى إسماعيل.

[2] قال شبابة بن سوَّار: كان شعبة حسن الرأي في أبي حنيفة. قال القرشي: وشعبة أول من تَكلَّمَ في الرجال. كذا في «الجواهر المضيئة» ٥٢/١.

وقال أبو نعيم: كان أبو حنيفة صاحبَ غوص في المسائل[1].

وقال أحمد بن علي بن سعيد القاضي: سمعت يحيى بن معين يقول: سمعت يحيى بن سعيد القطان يقول: لا نكذب الله ما سمعنا أحسن من رأي أبي حنيفة، وقد أخذنا بأكثر أقواله[2].

وقال الربيع وحرملة: سمعنا الشافعي يقول: الناس عيالٌ في الفقه على أبي حنيفة.

ويُروَى عن أبي يوسف قال: بينما أنا أمشي مع أبي حنيفة إذ سمعتُ رجلاً يقول لرجل: هذا أبو حنيفة لا ينام الليل، فقال أبو حنيفة: لا يتحدث عني بما لم أفعل، فكان يُحْيي الليل، يعني بعد ذلك[3].

---

[1] ذكره مسنداً الخطيبُ البغدادي في «تأريخه» ١٣/٣٤٤.

وروى الخطيب أيضًا عن بشر بن الحارث قال: سمعت عبد الله بن داود قال: إذا أردتَ الآثار - أو قال: الحديث - فسفيان، وإذا أردت تلك الدقائق فأبو حنيفة.

وروى أيضًا عن محمد بن بشر قال: كنت أختلف إلى أبي حنيفة وإلى سفيان، فآتي أبا حنيفة فيقول لي: من أين جئتَ ؟ فأقول: من عند سفيان، فيقول: لقد جئتَ من عند رجل لو أن علقمة والأسود حضرا لاحتاجا إلى مثله. فآتي سفيان، فيقول: من أين جئتَ ؟ فأقول: من عند أبي حنيفة، فيقول: لقد جئتَ من عند أفقه أهل الأرض.

وروى أيضًا عن يحيى بن زبان قال: قال لي أبو حنيفة: يا أهل البصرة أنتم أورع منا، ونحن أفقه منكم. (رضوان الله النعماني البنارسي عفا الله عنه)

[2] قلت: وذكر السيوطي في «تبييض الصحيفة» (ص ٩١) عن الخطيب قال يحيى بن مَعين: كان يحيى بن سعيد يذهب في الفتوى إلى قول الكوفيين ويختار قوله من أقوالهم، ويتبع رأيه من بين أصحابه.

وقال إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة عن أبيه قال: لما مات أبي سألنا الحسن بن عمارة أن يتولى غسله، ففعل، فلما غسله قال: رحمك الله تعالى وغفر لك لم تفطر منذ ثلاثين سنةً، ولم تتوسد يمينُك بالليل منذ أربعين سنةً، وقد أتعبتَ من بعدك وفضحتَ القراء.

وقال علي بن معبد: ثنا عبيد الله بن عمرو الرقي قال: كلَّمَ ابنُ هبيرةَ أبا حنيفة أن يلي قضاءَ الكوفة، فأبى عليه، فضربه مائةَ سوط وعشرةَ أسواط وهو على الامتناع، فلما رأى ذلك خَلَّى سَبِيلَه[1].

وقال ابن أبي داود عن نصر بن علي: سمعت ابن داود - يعني الخُرَيْبِي - يقول: الناس في أبي حنيفة حاسد وجاهل[2].

وقال أحمد بن عبدة قاضي الري عن أبيه: كنا عند ابن عائشة فذكر حديثًا لأبي حنيفة، ثم قال: أما إنكم لو رأيتموه لأردتموه،

---

[3] وروى الخطيب في «تأريخه» ٣٥٦/١٣ عن حفص بن عبد الرحمن قال: سمعت مسعر بن كدام يقول: دخلت ذات ليلةٍ المسجدَ فرأيت رجلاً يصلي فاستحليت قراءته فقرأ سبعًا، فقلت: يركع، ثم قرأ الثلث ثم النصف فلم يزل يقرأ القرآن حتى ختمه كله في ركعة، فنظرتُ فإذا هو أبو حنيفة.

[1] وفي «الجواهر المضيئة» ٥٥/١: وكان الإمام أحمد ابن حنبل كثيرًا مًّا يذكره ويترحَّم عليه، ويبكي في زمن محنته، ويتسلى بضرب أبي حنيفة على القضاء.

[2] وفي «الجواهر المضيئة» ٥٥/١: روى الطحاوي بسنده عن عبد الله بن داود الخُرَيبي، وسأله رجل فقال: ما عيب الناس فيه على أبي حنيفة ؟ فقال: والله ما أعلمُهم عابوا عليه في شيء، إلا أنه قال فأصاب، وقالوا فأخطأوا.

فما مثله ومثلكم إلا كما قيل-:

أقلوا عليهم ويلكم لا أبا لكم[١]

من اللوم أو سدوا المكانَ الذي سدوا.

وقال الصغاني عن ابن معين: سمعت عبيد بن أبي قُرَّة يقول: سمعت يحيى بن الضريس يقول: شهدتُ سفيان وأتاه رجل فقال: ما تنقم على أبي حنيفة ؟ قال: وما له ؟ قال: سمعته يقول: آخذُ بكتاب الله فإن لم أجد فبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن لم أجد فبقول الصحابة، آخذ بقول من شئتُ منهم ولا أخرج عن قولهم إلى قول غيرهم، فأما إذا انتهى الأمر إلى إبراهيم والشعبي وابن سيرين وعطاء، فقوم اجتهدوا، فأجتَهِدُ كما اجتهدوا[٢].

قال أبو نعيم وجماعةٌ: مات سنة خمسين ومائة. وقال أبو بكر ابن أبي خيثمة عن ابن معين: مات سنة إحدى وخمسين.

له في «كتاب الترمذي» من رواية عبد الحميد الحِمَّاني عنه

---

[١] كذا في «التهذيبين»، وفي «ديوان المعاني» ٣٨/١ لأبي هلال العسكري، وغيره: «لا أبا لأبيكمُ»، وهو من كلام ابن شبرمة.

[٢] قلت: قال إسماعيل بن محمد الفارسي: ذكر مكيٌّ بن إبراهيم أبا حنيفة، فقال: كان أعلمَ أهل زمانه. كما في «تهذيب الكمال» ٤٣٣/٢٩. وفي «الجواهر المضيئة» ٥٥/١: قال يحيى بن آدم: سمعت الحسن بن صالح يقول: كان النعمان بن ثابت قَيِّمًا بعلمه، مثَبِّتًا فيه، إذا صحَّ عنه الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم لم يَعدِل إلى غيره.

قال: «ما رأيتُ أحدًا أكذبَ من جابر الجعفي، ولا أفضلَ من عطاء بن أبي رباح»[١].

وفي «كتاب النسائي» حديثه [عن عاصم عن أبي رزين[٢]] عن ابن عباس قال: «ليس على من أتى بهيمةً حدٌّ».

قلت: وفي رواية أبي علي الأسيوطي والمغاربة عن النسائي قال: ثنا علي بن حجر ثنا عيسى - هو ابن يونس - عن النعمان عن عاصم فذكره ولم ينسب النعمان، وفي رواية ابن الأحمر: يعني أبا حنيفة، أورد عقيب حديث الدراوردي عن عمرو عن عكرمة عن ابن عباس مرفوعًا: «من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به» الحديث[٣]، وليس هذا الحديث في

---

[١] «العلل الكبير» الملحق في آخر «الجامع» ٤٤٨/٦ بتحقيق الأرناؤوط، وانظر ما سيأتي من كلام المؤلف.

[٢] ما بين المعكوفين أثبتُّه من «السنن الكبرى» ٣٢٢/٤ (٧٣٤١) للنسائي، فالحديث فيه من طريق عيسى بن يونس عن النعمان - يعني أبا حنيفة - عن عاصم - هو ابن بهدلة - عن أبي رزين عن عبد الله بن عباس قال إلخ. وفي «تهذيب الكمال» ٤٤٥/٢٩: «وروى له النَّسائي حديث أبي رزين عن ابن عباس إلخ». ووقع في المخطوطة و«التهذيب»: «عن عاصم بن أبي ذر عن ابن عباس»، وهو خطأ.

قلت: وأبو رزين هو: مسعود بن مالك الأسدي.

[٣] حديث الدراوردي هذا رواه أبو داود في «السنن» فيمن عَمِلَ عَملَ قوم لوط (٤٤٦٢)، والترمذي في «الجامع» في حد اللوطي (١٤٥٦)، وابن ماجهْ (٢٥٦١).

رواية [حمزة بن السني[(١)]]، ولا ابن حيوة عن النسائي، وقد تابع النعمانَ عليه عن عاصم سفيانُ الثوري.

ومناقب الإمام أبي حنيفة كثيرةٌ جدًّا، فرضي الله تعالى عنه وأسكنه الفردوس، آمين. انتهى كلام الحافظ[(٢)].

قلت: لا يوجد رواية الترمذي عن الإمام في النسخ الهندية، نعم يوجد في المصرية بلفظ: حدثنا محمود بن غيلان حدثنا أبو يحيى الحماني قال: سمعت أبا حنيفة يقول: «ما رأيت أحدًا أكذبَ من جابر الجعفي، ولا أفضل من عطاء بن أبي رباح»، انتهى.

وأما رواية النسائي فليست في هذه النسخ الموجودة عندنا، لأنها برواية ابن السني وقد نقل الحافظ كونَها في روايته.

وقال في «**جامع الأصول**»:

هو أبو حنيفة النعمانُ بنُ ثابت بن زُوْطَى بن ماه، الإمام الفقيه، وكان خَزَّازًا يبيع الخزَّ، له ذِكْرٌ في الإشعار من كتاب الحج[(٣)]،

---

(١) كذا وقع في المخطوطة، والتهذيب: «حمزة بن السني»، ولكنه خطأٌ، فإن ابن السني هو: أبو بكر أحمد بن محمد بن إسحاق بن السني. وحمزة هو: ابن محمد بن علي الكناني، وهما من رواة «السنن» عن النسائي، فلعل الصواب هنا: «حمزة وابن السني» بزيادة أداة العطف، والله تعالى أعلم.

(٢) في «تهذيب التهذيب» ١٠/٤٠١ - ٤٠٣ رقم الترجمة: ٧٤٧٢.

(٣) راجع إلى باب الإشعار والتقليد/ كتاب الحج من «جامع الأصول» ٣/٢٦٥ ح: ١٦٥٩ أورد عن الترمذي في «جامعه» (٩٢٢) عن أبي السائب ⇐

وكان جده زُوْطى من أهل كابُل، وقيل: من أهل [بابل [1]]، وقيل: من الأنْبار. وكان مملوكًا لبني تيم الله بن ثعلبة، فأُعتِقَ، ووُلِدَ أبوه ثابت على الإسلام.

قال إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة: أنا إسماعيل بن حماد ابن النعمان بن ثابت بن النعمان بن المرزبان من أبناء فارسَ من الأحرار، والله نحن نرجو أن يكونَ اللهُ قد استجابَ ذلك لعلي فينا.

وُلِدَ سنةَ ثمانين، ومات ببغدادَ سنة خمسين ومائة، وقيل: سنة إحدى وخمسين. وقيل: سنة ثلاث وخمسين. والأول أصح وأكثر.

☜ يقول: كنا عند وكيع فقال لرجل ممن ينظر في الرأي: أشعر رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويقول أبو حنيفة: هو مُثلة. قال الرجل: فإنه قد روي عن إبراهيم النخعي أنه قال: الإشعار مثلة. قال: رأيتُ وكيعًا غضب غضبًا شديدًا، وقال: أقول لك: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتقول: قال إبراهيم إلخ.

قلت: قال العلامة محمد يوسف البنوري رحمه الله تعالى: ... وأما غضبه غضباً شديداً على ذلك الرجل، فذلك لأنه عارض قول رسول الله صلى الله عليه وسلم بقول إبراهيم معارضةً، ومثل هذه المعارضة - وإن كانت معارضةً صوريةً - غير متحملة .. إلخ. (معارف السنن).

وقال الإمام الطحاوي رحمه الله: إن أبا حنيفة لم يكره أصل الإشعار، ولا كونه سنةً، وإنما كره ما يفعل على وجه يخاف منه هلاكها، لسراية الجرح، لا سيما في حر الحجاز مع الطعن بالسنان أو الشفرة، فأراد سد الباب على العامة، لأنهم لا يراعون الحد في ذلك، وأما من وقف على الحد فلا يكره له. (من معارف السنن).

[1] سقط من المخطوطة.

ودُفِنَ [بمقابرِ الخَيْزُرَان[(١)]]، وقبرُه معروف ببغداد.

وأصحابُه يقولون: إنه لقي جماعةً من الصحابة وروى عنهم، ولا يَثبتُ ذلك عند أهل النقل[(٢)].

---

(١) هذا، وما سيأتي بعد ذلك بين المعكوفين أثبتُّها من «جامع الأصول» ٢٦٦/١٤، وهي ساقطة من المخطوطة.

والخيزران: بفتح الخاء المعجمة وسكون الياء المنقوطة باثنتين من تحتها وضم الزاي وفتح الراء وآخرها نون. كما في «الأنساب» للسمعاني ٤٣٠/٢.

(٢) قلت: وقد تعقب عليه القاري في «المرقاة» ٧٨/١: حيث قال: لكن من حفظ حجةٌ على من لم يحفظ، والمثبت مقدم على النافي، وقال: بل أدرك ثمانيةً من الصحابة.

وقال الإمام جلال الدين السيوطي في «تبييض الصحيفة» (ص ٨): قد ألف الإمام أبو معشر عبد الكريم الطبري الشافعي جزءًا فيما رواه الإمام أبو حنيفة عن الصحابة، ذكر فيه: قال أبو حنيفة: لقيتُ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سبعةً، وهم: أنس بن مالك، وعبد الله بن جَزْء الزبيدي، وجابر بن عبد الله، ومعقل بن يسار، وواثلة بن الأسقع، وعائشة بنت عجرد رضي الله عنهم أجمعين. اهـ.

قلت: فصار هؤلاء ستةً، قال الشيخ عاشق إلهي في «تعليقه على التبيض»: كذا وقع في النسخة الحيدرآبادية والديوبندية، وهو محل إشكال، فإنه ذكر أولاً أن أبا حنيفة رحمه الله قال: لقيتُ سبعةً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ثم عَدَّهم ستةً وترك السابع، ولعله أسقط الكاتب «عبد الله بن أنيس» بعد واثلة، كما هو الظاهر مما ساق من الأحاديث بعد ذلك، والله أعلم بالصواب.

وقال ابن العماد في «شذرات الذهب» ٢٢٧/١: رأى أنسًا وغيره، نظم بعضهم من لقي من الصحابة فقال:

لقي الإمام أبو حنيفة ستة ... من صحب طه المصطفى المختار

أنسًا وعبد الله نجل أنيسهم ... وسميه ابن الحارث الكرار

وزاد ابن أبي أوفى وابن واثلة الرضى ... واضمم إليهم معقل بن يسار

فزاد عبدَ الله بن أبي أوفى، وأسقط جابرَ بن عبد الله وعائشةَ بنت عجرد، والمراد في النظم بابن الحارث هو عبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدي.

وزاد الكردري في أسماء الصحابة الذين سمع منهم الإمام أبو حنيفة: سهل بن سعد وأبا الطفيل.

وذكر ابن حجر الهيتمي قول من ذكر سماع أبي حنيفة من عمرو بن حريث المتوفى سنة ٨٥هـ، والسائب بن الخلاد المتوفى سنة ٩١هـ، والسائب بن يزيد المتوفى سنة ٩١ أو سنة ٩٢هـ أو ٩٤هـ، وعبد الله بن بُسر المتوفى سنة ٩٦هـ، ومحمود بن الربيع المتوفى سنةَ ٩٩هـ. وذكر الاعتراض على من أثبت لقاء هؤلاء، وأجاب عن بعض وسكت عن بعض، وقال في آخر البحث ناقلاً عن بعض المحدثين قالوا: وأما رؤيته لأنس رضي الله عنه وإدراكه لجماعة من الصحابة بالسن فصحيحان لا شك فيهما، وما وقع للعيني أنه أثبت سماعه ممن أدركه من الصحابة رضي الله عنهم، رَدَّه عليه صاحبُه الشيخ الحافظ قاسم الحنفي. اهـ ثم قال ابن حجر الهيتمي: وقاعد المحدثين أن راوي الاتصال مقدم على راوي الإرسال والانقطاع - لأنه معه زيادة علم - تؤيد ما قاله العيني، فاحفظ ذلك فإنه مهم. راجع «الخيرات الحسان» (ص ٤٧- ٥٥).

قال الكردري في «مناقب أبي حنيفة» (ص٢٥): فالحاصل أن جماعةً من المحدثين أنكروا ملاقاته مع الصحابة رضي الله عنهم، وأصحابه أثبتوا بالأسانيد الصحاح الحسان، وهم أعرف بأحواله منهم، والمثبت أولى من النافي. اهـ.

قال السيوطي في «التبييض» (١٠): ووقفتُ على فتيا رُفِعَتْ إلى الشيخ ولي الدين العراقي صورتها: هل روى أبو حنيفة عن أحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم؟ وهل يُعَدّ هو من التابعين أم لا؟، فأجاب بما نصه: ☜

الإمام أبو حنيفة لم يصح له روايةٌ عن أحد من الصحابة، وقد رأى أنسَ بن مالك، فمن يكتف في التابعي بمجرد رؤية الصحابي يجعله تابعيًا، ومن لم يكتف بذلك لا يعد تابعياً.

ورُفِعَ هذا السؤال إلى الحافظ ابن حجر - رحمه الله - فأجاب بما نصه: أدرك الإمام أبو حنيفة جماعةً من الصحابة لأنه وُلِدَ بالكوفة سنة ثمانين من الهجرة، وبها يومئذ من الصحابة عبد الله بن أبي أوفى فإنه مات بعد ذلك بالاتفاق، وبالبصرة يومئذ أنس بن مالك ومات سنة تسعين أو بعدها، وقد أورد ابن سعد بسند لا بأس به أن أبا حنيفة رأى أنسًا، وكان غير هذين في الصحابة بعده من البلاد أحياء. وقد جمع بعضهم جزءًا فيما ورد من رواية أبي حنيفة عن الصحابة لكن لا يخلو إسنادها من ضعف، والمعتمد على إدراكه ما تقدم وعلى رؤيته لبعض الصحابة ما أورده ابن سعد في «الطبقات»، فهو بهذا الاعتبار من طبقة التابعين، ولم يثبت ذلك لأحد من أئمة الأمصار المعاصرين له كالأوزاعي بالشام، والحمادين بالبصرة، والثوري بالكوفة، ومالك بالمدينة، ومسلم بن خالد الزنجي بمكة، والليث بن سعد بمصر، والله أعلم. هذا آخر ما ذكره الحافظ ابن حجر.

قال الشيخ محمد زاهد الكوثري رحمه الله في «تأنيب الخطيب»: وممن أقر برؤية الإمام أبي حنيفة أنسًا: ابنُ سعد، والدارقطني، وأبو نعيم الأصبهاني، وابن عبد البر، والخطيب، وابن الجوزي، والسمعاني، وعبد الغني المقدسي، وسبط ابن الجوزي، وفضل الله التوربشتي، والنووي، واليافعي، والزين العراقي، والولي العراقي، وابن الوزير، والبدر العيني، وابن حجر - في فتيا له نقلها السيوطي في «تبييض الصحيفة» -، والشهاب القسطلاني، والسيوطي، وابن حجر المكي، وغيرهم، فتكون محاولة إنكار كونه تابعيًا مكابرةً، أو جهلاً بنصوص هؤلاء. اهـ.

قال الشيخ عاشق إلهي البرني: رؤية الصحابي يكتفى به في كون الرجل تابعيًا، وجعله الحافظ ابن حجر في «شرح النخبة» القول المختار. وقال النووي في «تقريبه» في تعريف التابعي: قيل: من صحب الصحابي، وقيل: من لقيه،

وأخذ الفقهَ عن: حمادِ بن أبي سليمان[1].

☜ وهو الأظهر. قال السيوطي في «تدريب الراوي»: قال العراقي: وعليه (أي: على القول الثاني) عمل الأكثرين من أهل الحديث، فقد ذكر مسلم وابن حبان: الأعمشَ في طبقة التابعين رأى أنسًا وإن لم يصح له سماع المسند عنه، وعدَّه أيضًا فيهم الحافظ عبد الغني، وعد فيهم يحيى بن أبي كثير لكونه لقي أنسًا، وموسى بن أبي عائشة لكونه لقي عمرو بن حريث. اهـ.

قال البرني: ونفس رؤية الصحابي فيه فضل كبير وإن لم يسمع منه، لما روى الطبراني عن عبد الله بن بُسر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «طوبى لمن رآني، وطوبى لمن رآى من رآني، طوبى لهم وحسن مآب». قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ١٠/٢٠: فيه بقية وقد صرح بالسماع فزالت الدلسة، وبقية رجاله ثقات. اهـ.

قلت: وسأذكر بحثاً نفيسًا في إثبات تابعية الإمام وروايته عن الصحابة في آخر الكتاب بعنوان: «فائدة» من رسالة الإمام عبد الحي اللكنوي «إقامة الحجة» و«مقدمة تنسيق النظام» تتمةً لهذا البحث.

[1] قلت: روى الخطيب في «تأريخه» ١٣/٣٣٣ عن زفر بن الهذيل قال: سمعت أبا حنيفة يقول: كنت أنظر في الكلام حتى بلغتُ مبلغًا يُشار إليَّ فيه بالأصابع، وكنا نجلس بالقرب من حلقة حماد بن أبي سليمان، فجاءتني امرأةٌ يومًا فقالت لي: رجل له امرأة أراد أن يطلقها للسنة كم يطلقها؟ فلم أدر ما أقول، فأمرتُها أن تسأل حمادًا ثم ترجع فتخبرني، فسألَتْ حمادًا فقال: يطلقها وهي طاهرة من الحيض والجماع تطليقةً، ثم يتركها حتى تحيض حيضتين، فإذا اغتسلت فقد حلت للأزواج. فرجعَتْ فأخبرتني، فقلت: لا حاجة لي في الكلام وأخذتُ نعليَّ فجلست إلى حماد، فكنت أسمع مسائله فأحفظ ثم يعيدها من الغد فأحفظها ويخطِّئ سنين، ثم نازعتني نفسي الطلب للرياسة فأحببت أن أعتزله ☜

وسمع: عطاءَ بنَ أبي رباح، وأبا إسحاق السَّبِيعي، ومُحاربَ بنَ دِثار، والهيثمَ بنَ حبيب، ومحمدَ بنَ المنكدر، ونافعًا مولى ابن عُمر، وهِشامَ بنَ عروة، وسِماكَ بنَ حرب[1].

وأجلس في حلقة لنفسي، فخرجت يومًا بالعشي وعزمي أن أفعل، فلما دخلت المسجد فرأيته لم تطب نفسي أن أعتزله فجئت فجلست معه، فجاءه في تلك الليلة نعي قرابة له قد مات بالبصرة وترك مالاً وليس وارث غيره، فأمرني أن أجلس مكانه فما هو إلا أن خرج حتى وَرَدَتْ عليَّ مسائل لم أسمعها منه، فكنت أجيب وأكتب جوابي، فغاب شهرين، ثم قدم فعرضتُ عليه المسائل وكانت نحوًا من ستين مسألةً فوافقني في أربعين وخالفني في عشرين، فآليت على نفسي أن لا أفارقه حتى يموت، فلم أفارقه حتى مات.

[1] قلت: قال ابن حجر الهيتمي في «الخيرات الحسان» (٥٦): شيوخه كثيرون لا يسع هذا المختصر ذكرهم، وقد ذكر منهم الإمام أبو حفص الكبير أربعة آلاف شيخ، وقال غيره: له أربعة آلاف شيخ من التابعين، فما بالك بغيرهم. منهم الليث بن سعد، وكذا مالك بن أنس إمام دار الهجرة على ما ذكره الدارقطني وجماعة آخرهم أبو محمد العيني، بل قال بعضهم: إنه رأى في «مسند الإمام أبي حنيفة» التحديث عن مالك، وهذا الإمامان من جملة الآخذين عنه. وعدد بعض المترجمين مشايخه بما يطول ذكره، فلذا حذفته. اهـ.

قلت: وذكر الإمام المزي في «تهذيب الكمال» ستةً وسبعين رجلاً في مشايخ أبي حنيفة – رفع الله درجاتهم –، وفيهم كبراء التابعين من أصحاب الحديث والفقه، روى عنهم الإمام أبو حنيفة الحديث، وأخذ عنهم العلم، وهم رواة الحديث وتلاميذ علي والعبادلة الأربعة وجابر بن سمرة، **وجابر بن عبد الله، وعبد الله بن أبي أوفى، وعائشة، وزيد بن أرقم، والبراء بن عازب، وأبي الطفيل، وأبي قتادة، وأبي سعيد الخدري، وسهل بن سعد، والمسور بن مخرمة،**

وعدي بن حاتم، والمغيرة بن شعبة، وأنس، وأبي هريرة رضي الله تعالى عنهم أجمعين، وفيهم من هو معروف بإكثار الحديث، خصوصًا أبو هريرة، وابن مسعود، وابن عمر، وابن عباس، وعائشة رضوان الله عليهم، فمن كان بهذه المكانة من رواية الحديث حيث أنه ليس بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم إلا صحابي وتابعي من كبراء التابعين وثقاتهم، ووصل إليه الحديث بهذه الأسانيد المتصلة الصحيحة القليلة الوسائط، ثم بنى عليها مذهبَه واجتهد واستنبط، كان مذهبه أقوى وأرجح ممن سمع الحديث بأربع وسائط فصاعدًا وتطرق الضعف إلى حديثه لأجل كثرة الوسائط. والعجب من الذين يتفوهون بملإ أشداقهم أن أبا حنيفة رحمه الله تعالى مدار مذهبه على الروايات الضعيفة الإسناد وينظرون إلى ما رواه أصحاب كتب الحديث بعد أبي حنيفة بكثير من الزمان، وهذا الإمام البخاري رحمه الله وُلِدَ بعد وفاة أبي حنيفة بأربع وأربعين سنة وألف كتابه بعد كثير من الأعوام، وكذا من بعده من أصحاب الكتب، فلو وقع الضعف في أسانيد هؤلاء الكرام لأجل تطاول الزمان، لا يلزم منه أن يكون الحديث ضعيفًا عند أبي حنيفة رحمه الله تعالى، وهذا ظاهر جدًّا على من لم يسلك سبيل الاعتساف.

وناهيك من شيوخ أبي حنيفة – وكفى بهم فخرًا – عطاء بن أبي رباح الذي أدرك مائتي صحابي، وعامر الشعبي الذي يقول فيه الذهبي: إنه أكبر شيخ لأبي حنيفة، وقد أدرك خمس مئة صحابي، وسماك بن حرب فإنه أدرك ثمانين صحابيًا، وأبو إسحاق السبيعي وقد أدرك ثمانية وثلاثين صحابيًا، وطاوس الذي أدرك خمسين صحابيًا، وابن شهاب الزهري الذي روى عن جمع كثير من الصحابة، وآخرون من الذين أدركوا الصحابة ورووا عنهم.

فإن قيل: في شيوخهم الذين ذكرهم المزي وغيره، ضعفاء، قلنا: هم معدودون قليلون بالنسبة إلى الثقات الأثبات الكثيرين، وفي هذا القليل من اختلف في توثيقه وتضعيفه، ثم إن أبا حنيفة لم ينفرد بالرواية عنهم، بل شارك معه فيهم السفيانان أو أحدهما أو شعبة أو الأعمش وآخرون من أصحاب الحديث

وروى عنه: عبدُ الله بنُ المبارك، ووكيعُ بن الجرَّاح، ويزيدُ بن هارون، وعليُّ بن عاصم، والقاضي أبو يُوسف، ومحمد بن الحسن الشيباني، وغيرهُم.

نقله المنصورُ من الكوفة إلى بغدادَ وأقامَ بها إلى أن مات فيها. وكان أكرهه ابنُ هُبَيْرة أيامَ [مروان] بن محمد الأموي على القضاء بالكوفة، فأبى، فضربه مائةَ سوط في عشرة أيام، كلَّ يوم عشرةٌ [وهو على الامتناع]، فلمَّا رأى ذلك [خلَّى سبيلَه]. ولما أَشْخَصه المنصورُ [إلى العراقِ] أرادَه على القضاء، [فأبى فحلفَ عليه ليفعلنَّ] وحلفَ أبو حنيفة [لا يفعل]، وتكررت الأيمانُ منهما فحبسَه المنصورُ، ومات في الحبسِ. وقيل: إنه افتدى نفسَه [بأن تولى عدد اللبن، ولم يصح[1]].

كان رَبْعَةً من الرِّجالِ، وقيل: كان طوالاً تَعْلُوه سمرة[2]،

☜ فأي قارورة كسرها أبو حنيفة لم يكسرها غيره، ثم لا يلزم من أخذ الرواية عن الضعيف أن يعمل بحديثه في الأحكام، وقد لا يجد المجتهد حديثًا صحيحًا فيحتاج إلى الاحتجاج بالضعيف ويقدم الضعيف على الرأي، ولا يلام حينئذ على الأخذ من الضعيف، فعليك بالإنصاف ولا تكن من أهل الاعتساف. اهـ من تعليق الشيخ عاشق إلهي على «تبييض الصحيفة» (ص ٤٦ - ٤٧).

[1] ما بين المعكوفين ساقط من المخطوطة.

[2] قال ابن حجر في «الخيرات الحسان» (ص ٤٦): لا تنافي بين كونه ربعةً وبين كونه طويلاً، لأنه قد يكون مع كونه ربعةً أقرب إلى الطول كما حررتُه في «شرح شمائل الترمذي». اهـ. قلت: وكما في «جمع الوسائل» (ص ١١) للقاري.

حسنَ الوجه، أحسنَ الناسِ منطقًا، وأحلاهم نغمةً، حسنَ المجلس، شَديدَ الكرم، حسنَ المواساة لإخوانه.

قال الشافعي رحمه الله: قيل لمالك: هل رأيتَ أبا حنيفة ؟ قال: نعم! رأيتُ رجلاً [لو كَلَّمَك في هذه الساريةِ أن يجعلَها ذهبًا لقام بحجته[١]].

قال الشافعي: من أراد الحديث فعليه بمالك، ومن أراد الجدل فعليه بأبي حنيفة. وقال الشافعي: من أراد أن يَتبَحَّر في الفقهِ فهو عِيال على أبي حنيفة.

[ولو ذهبنا إلى] شرح مناقبه وفضائله لأطبنا الخُطب، ولم نَصِلْ إلى الغرض منها، فإنه كان عالماً عاملاً، [عابدًا]، ورعًا، زاهدًا، تقيًا، إمامًا في علوم الشريعة، مرضيًا[٢]، وقد نُسِبَ إليه وقيل عنه من الأقاويل المختلفة التي يَجِلُّ قدرُه عنها ويتنزه منها: من القول بخلقِ القرآن، والقول بالقدر، والقول بالإرجاء، وغير ذلك مما نُسب إليه. ولا حاجة إلى ذكرها ولا إلى ذكر قائليها، والظاهر أنه كان مُنزَّهًا عنها، ويدل على نزاهته منها، ما يَسَّر[٣] الله تعالى له

---

[١] ما بين المعكوفين ساقط من المخطوطة، وأثبتُّه من «جامع الأصول».

[٢] قال الإمام عبد القادر الحنفي القرشي في «الجواهر المضيئة» ١/٥٥: قال مسعر بن كدام فيما روينا عنه بالأسانيد: من جعل أبا حنيفة بينه وبين الله إمامًا رجوتُ أن لا يخاف، وأن لا يكون فرَّط في الاحتياط لنفسه. لرضوان الله تعالى عنا الله عنا.

[٣] أثبتّه من «الجامع»، وفي المخطوطة: «نشر».

من الذِّكر المنتشر في الآفاق، والعلم الذي طبق الأرض، والأخْذ بمذهبه وفقهه، والرجوع إلى قوله وفعله، [وأن ذلك لو لم يكن لله فيه سرٌّ خفي، ورضى إلهي[1]] وفقه الله له، لَما اجتمع شطرُ الإسلامِ أو ما يقاربهُ على تقليده، والعمل برأيه، ومذهبه [حتى قد عُبِدَ الله ودِيْنَ بفقهه، وعُمل برأيه، ومذهبه، وأُخذَ بقوله[2]] إلى يومنا هذا ما يقارب أربع مائة وخمسين سنة [*][3]، وعقيدتهم عقيدة أبي حنيفة، وهي عقيدة أهل السنة والجماعة، وليس فيها شيء مما نُسبَ إليه وقيل عنه، وأصحابه [أخبرُ[4]] بحاله وبقوله من غيرهم، فالرجوعُ إلى ما نقلوه عنه أوْلى مما نقله غيرُهم عنه. [وقد ذُكِر أيضًا سبب قول من قال عنه ما قال والحامل له على ما نسب إليه. ولا

---

[1] أثبتُّه من «الجامع»، وفي المخطوطة بدله: «وأن ذلك لو لم يكن فيه نزهاً ورضا التي»، وهو غير واضح.

[2] سقط من المخطوطة، وأثبتُّه من «الجامع».

[*] قلت: وإلى يومنا هذا ما يقارب ألفاً ومائتين وثلاثاً وثمانين، قد اجتمع على تقليده ثلثا الإسلام.

[3] قلت: وفي «جامع الأصول» بعد ذلك: «وفي هذا أدل دليل على صحة مذهبه، وعقيدته، وأن ما قيل عنه هو منزَّه منه. وقد جمع أبو جعفر الطحاوي - وهو من أكبر الآخذين بمذهبه - كتابًا سماه «عقيدةُ أبي حنيفةَ رحمه اللّه»، وهي عقيدةُ أهل السُّنَّة والجماعة.

[4] أثبتُّه من «الجامع»، وفي المخطوطة هنا بياض، وكتب الشيخ المؤلف في الهامش: «بياض في الأصل، والله أعلم».

حاجة بنا إلى ذكر ما قالوه[1] ا، فأين مثل أبي حنيفة ؟ ومحله في الإسلام الا يحتاجُ إلى دليل يُعتَذَرُ به مما نُسب إليه[2] ا، والله أعلم.

وقال الخطيب[3] في «الإكمال»:

النعمان بن ثابت هو الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطى الكوفي، هو من رهط حمزة الزيات، كان خزازاً يبيع الخزَّ، وكان جدُّه زوطى من أهل كابل مملوكاً لبني تيم الله بن ثعلبة، فأُعتِقَ، وولد أبوه ثابت على الإسلام، وقيل: هو من الأحرار، وما وقع عليه رِقٌّ قط. وذهب ثابت إلى علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وهو صغير فدعا له بالبركة فيه وفي ذريته، وُلِدَ سنة ثمانين، ومات ببغداد سنة خمسين ومأة (١٥٠هـ)، ودُفِنَ بمقابر الخيزران، وقبره معروف ببغداد.

وكان في أيامه أربعة من الصحابة: أنسُ بنُ مالك بالبصرة، وعبد الله بن أبي أوفى بالكوفة، وسهل بن سعد السَّاعدي بالمدينة، وأبو الطفيل عامر بن واثِلة بمكة، ولم يلقَ أحدًا منهم[1]، ولا أخَذَ عنهم.

---

(١) ما بين المعكوفين ساقط من المخطوطة.

(٢) كذا في «الجامع» ٢٦٧/١٤، وفي المخطوطة بدله: «ولا يحتاج نفيه به لما نسب إليه».

(٣) هو: الإمام محمد بن عبد الله التبريزي، صاحب «مشكاة المصابيح».

وأخذ الفقهَ عن: حمادِ بن أبي سليمان.

وسمع: عطاءَ بن أبي رباح، وأبا إسحاق السَّبيعي، ومحمد بن المنكدر، ونافعًا، وهِشام بن عروة، وسِماك بن حرب، وغيرهم.

وروى عنه: عبدُ الله بن المبارك، ووكيعُ بن الجرَّاح، ويزيدُ بن هارون، والقاضي أبو يُوسف، ومحمد بن الحسن الشيباني، وغيرهُم.

ونقله المنصورُ من الكوفة إلى بغدادَ وأقامَ بها إلى أن مات فيها. وكان أكرهه ابنُ هُبَيْرة أيامَ مروان بن محمد الأموي على القضاء بالكوفة، فأبى، فضربه مائةَ سوط في عشرة أيام، كلَّ يوم عشرة، فلمَّا رأى ذلك خَلَّى سبيلَه. ولما أشْخَصه المنصورُ إلى العراقِ أرادَه[2] على القضاء، فأبى فحلفَ عليه ليفعلنَّ، وحلفَ أبو حنيفة لا يفعل، وتكررت الأيمانُ بينهما فحبسَه المنصورُ، ومات في الحبسِ[3].

---

(1) وقد ذكرتُ الجواب عن ذلك تحت كلام ابن الأثير فيما سبق (ص ٣٣) بشيء من التفصيل عن القاري والسيوطي وابن حجر الهيتمي وغيرهم فراجعْه هنا.

(2) وفي نسخة أخرى للإكمال: «أكرهه».

(3) قلت: روى الخطيب في «تأريخه» ١٣/٣٥٩ عن مغيث بن بديل قال: قال خارجة بن مصعب أجاز المنصور أبا حنيفة بعشرة آلاف درهم، فدُعيَ ليقبضها فشاورني، وقال: هذا رجل إن رددتها عليه غضب، وإن قبلتها دخل عليَّ في ديني ما أكرهه، فقلت: إن هذا المال عظيم في عينه، فإذا دُعيْتَ لتقبضها فقل: لم يكن هذا أملي من أمير المؤمنين، فدُعي ليقبضها فقال ذلك، فرفع إليه خبره، فحبس الجائزة، قال: وكان أبو حنيفة لا يكاد يشاور في أمره غيري.

قال الحكم[١] بن هشام حُدِّثتُ بالشام عن أبي حنيفة أنه كان من أعظم الناس أمانةً، وأراده السلطان على أن يتولى مفاتيح خزائنه أو يُضرَبَ ظهره، فاختار عذابَهم على عذاب الله تعالى.

ورُوي أنه ذُكِرَ أبو حنيفة عند ابن المبارك فقال: أ تذكرون رجلاً عُرِضَتْ عليه الدنيا بحذافيرها[٢]، ففَرَّ منها.

وكان ربعةً من الرجال، وقيل: كان طوالاً تعلوه سمرة، حسن الوجه، أحسنَ الناسِ منطقًا، وأحلاهم نغمةً، حسن المجلس[٣]، شَديدَ الكرم، حسن المواساة لأعوانه.

قال الشافعي رحمه الله: قيل لمالك: هل رأيتَ أبا حنيفة ؟ قال: نعم! رأيتُ رجلاً لو كلمك في هذه السارية أن يجعلها ذهبًا لقام بحجته. وقال الشافعي رحمه الله: من أراد أن يتبحر في الفقه فهو عيال على أبي حنيفة رحمه الله.

وقال أبو حامد الغزالي: روي أن أبا حنيفة كان يُحْيِي نصف الليل فأشار إليه إنسانٌ وهو يمشي، وقال لغيره: هذا هو الذي يحيي كلَّ الليل، فلم يزل بعد ذلك يحيى الليل كلَّه، وقال: أنا أستحيي من الله تعالى أن أُوْصَفَ بما ليس فِيَّ من عبادته.

---

(١) وفي نسخة: «الحاكم».

(٢) أي: بجميعها.

(٣) قال حجر بن عبد الجبار: ما رأى الناس أكرم مجالسة من أبي حنيفة، ولا إكرامًا لأصحابه. كذا في «تأريخ بغداد» ٣٦٠/١٣.

وقال شريك النخعي: كان أبو حنيفة طويلَ الصمت، دائمَ الفكر، قليل المحادثة[1] للناس، وهذا من أوضح الأمارات على العلم الباطني والاشتغال بمهمات الدين، فمن أُوتِيَ الصمتَ والزهدَ فقد أُوتِيَ العلمَ كلَّه[2].

ولو ذهبنا إلى شرح مناقبه وفضائله[3] لأطلنا الخطب، ولم نصل إلى الغرض منها، فإنه كان عالماً، عاملاً، ورعًا، زاهدًا، عابدًا، إمامًا في علوم الشريعة، مرضيًا.

والغرض بإيراد ذكره في هذا الكتاب - وإن لم نرو عنه حديثًا[1] في «المشكاة» - التبرك به لعُلُوِّ مرتبته ووفور علمه. انتهى[2].

---

[1] وفي نسخة أخرى: «المجادلة».

[2] «إحياء العلوم» ١/٤٠-٤١ قبيل بيان على ذم العلم المذموم. وقال أيضًا: كان أبو حنيفة عابدًا، زاهدًا، عارفًا بالله تعالى، خائفًا منه، مريدًا وجهَ الله تعالى بعلمه.

قلت: قال ابن حجر الهيتمي الشافعي في «الخيرات الحسان» (ص ٣٥): وقع في «المنخول» المنسوب للإمام الغزالي ذكر أشياء تنافي كمال أبي حنيفة رحمه الله، - وإنما قلنا: «المنسوب»، لأنه لم يصح نسبة جميع ما في هذا الكتاب إليه -، فيحتمل أن تكون تلك الألفاظ الشنيعة اختلقت عليه بدليل أنه مدحه في كتاب «إحياء علوم الدين» المتواتر عنه بما يليق بكمال أبي حنيفة رحمه الله.

وأجاب بعض المحققين من الحنفية بأنه بتقدير صدور هذا من الغزالي فهو في حال ابتداء أمره حين كان على شأن الفقهاء المتعصبين، فلما توقى عن ذلك وطهر أخلاقه ووصل إلى ما وصل إليه من الكمالات، رجع عن ذلك وذكر الحق في «كتاب الإحياء». [رضوان الله البنارسي].

[3] وفي نسخة: «خصاله».

فهولاء علماء الرجال يَتبَرَّكُون بذكره رضي الله تعالى عنه، ويذكرون ترجمتَه في كتبهم بدون الرواية، وهل هو إلا غاية الاشتياق بذكره رضي الله تعالى عنه.

وقال الذهبي في «تذكرة الحفاظ»:

أبو حنيفة الإمام الأعظم فقيه العراق، النعمان بن ثابت بن زوطى التيمي مولاهم، الكوفي، مولده سنة ثمانين، رأى أنس بنَ مالك غيرَ مرَّةٍ لما قدم عليهم الكوفة، رواه ابن سعد عن سيف بن جابر أنه سمع أبا حنيفة يقوله.

وحدَّثَ عن: عطاء، ونافع، وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج، وعدي بن ثابت، وسلمة بن كهيل، وأبي جعفر محمد بن علي، وقتادة، وعمرو بن دينار، وأبي إسحاق، وخلق كثير.

تفقه به: زفرُ بنُ الهذيل، وداود الطائي، والقاضي أبو يوسف، ومحمد بن الحسن، وأسد بن عَمرو، والحسن بن زياد اللؤلؤي، ونوح الجامع، وأبو مُطيع البلخي، وعدةٌ.

وكان قد تفقه بحماد بن أبي سليمان وغيره.

---

(١) وفي نسخة: «يرو» بالياء، و«حديث» بالرفع.

(٢) «الإكمال في أسماء الرجال» لصاحب «المشكاة»، المطبوع في آخر «المشكاة» الهندية (ص: ٦٢٤)، وفي آخر «المرقاة» (ص: ١٢١).

وحَدَّثَ عنه: وكيعٌ، ويزيد بن هارون، وسعد بن الصلت، وأبو عاصم، وعبد الرزاق، وعبيد الله بن موسى، وأبو نعيم، وأبو عبد الرحمن المقرئ، وبَشَرٌ كثيرٌ.

وكان إمامًا، ورعًا، عالمًا، عاملاً، متعبدًا، كبيرَ الشأن، لا يقبل جوائزَ السلطان، بل يتجر ويكسب.

قال ضرار بن صرد: سئل يزيد بن هارون أيما أفقه: الثوري أم أبو حنيفة ؟ فقال: أبو حنيفة أفقه[1]، وسفيان أحفظ للحديث.

قال ابن المبارك: أبو حنيفة أفقه الناس.

وقال الشافعي رحمه الله: الناس في الفقه عيالٌ على أبي حنيفة رحمه الله. وقال يزيد: ما رأيت أحدًا أورعَ ولا أعقلَ من أبي حنيفة[1].

---

[1] قلت: قال الإمام الذهبي في «تأريخ الإسلام» ٣١٢/٩: قال حفص بن غياث: كلام أبي حنيفة في الفقه أدق من الشعر لا يعيبه إلا جاهل. وقال علي بن عاصم: لو وُزِنَ علم أبي حنيفة بعلم أهل زمانه لرجح عليهم. وقال الحميدي: سمعت ابن عيينة يقول: شيئان ما ظننتهما يجاوزان قنطرة الكوفة: قراءة حمزة، وفقه أبي حنيفة، وقد بلغا الآفاق. وعن الأعمش أنه سئل عن مسألة، فقال: إنما يحسن هذا النعمان بن ثابت الخزاز، وأظنه بورك له في علمه. وقال جرير: قال لي مغيرة: جَالِسْ أبا حنيفة تَفقَّهْ، فإن إبراهيم النخعي لو كان حياً لجالسه. اهـ.

وقال الشيخ عبد القادر القرشي في «الجواهر المضيئة» ٥٥/١: قال يزيد بن هارون: أدركتُ ألف رجل، وكتبت عن أكثرهم، ما رأيت فيهم أفقه ولا أورع ولا أعلم من خمسة؛ أولهم أبو حنيفة.

وروى أحمد بن محمد بن القاسم بن محرز عن يحيى بن معين قال: لا بأس به لم يكن يتهم، ولقد ضربه يزيد بن عمر بن هبيرة على القضاء، فأبى أن يكون قاضيًا.

وقال أبو داود رحمه الله: إن أبا حنيفة كان إمامًا.

وروى بشر بن الوليد عن أبي يوسف قال: كنت أمشي مع أبي حنيفة فقال رجل لآخر: هذا أبو حنيفة لا ينام الليل، فقال: والله لا يتحدث الناس عني بما لم أفعل، فكان يحيي الليل صلاةً ودعاءً وتضرعًا.

قلت: مناقب هذا الإمام قد أفردتُها في جزءٍ(٢). كان موته في رجب سنة خمسين ومائة، رضي الله عنه.

أنبأنا ابن قدامة أخبرنا ابن طبرزد أنا أبو غالب بن البناء أنا أبو محمد الجوهري أنا أبو بكر القطيعي نا بشر بن موسى أنا أبو

---

(١) وروى الخطيب في «تأريخ بغداد» ١٣/٣٥٨ عن حبان بن موسى قال: سمعت عبد الله بن المبارك يقول: قدمتُ الكوفةَ فسألت عن أورع أهلها، فقالوا: أبو حنيفة.

وروى أيضاً عن سليمان بن الربيع قال: سمعت مكي بن إبراهيم يقول: جالستُ الكوفيين فما رأيت فيهم أورع من أبي حنيفة.

وقال محمد بن عبد الله الأنصاري: كان أبو حنيفة يتبين عقله في منطقه ومشيته ومدخله ومخرجه. نقله الخطيب في «تأريخه» ١٣/٣٦٤.

(٢) قلت: وهو مطبوع باسم «مناقب الإمام أبي حنيفة وصاحبيه أبي يوسف ومحمد بن الحسن». وذكر أيضًا الدكتور بَشَّار عَوَّاد معروف في تقديمه على «سير أعلام النبلاء» (ص:٨١) في مآثر الذهبي العلمية: «ترجمة أبي حنيفة»، هو مطبوع بالقاهرة بدون تأريخ.

عبد الرحمن المقرئ عن أبي حنيفة عن عطاء عن جابر أنه: رآه يصلي في قميص خفيف ليس عليه إزار ولا رداء، قال: ولا أظنه صلى فيه إلا ليرينا أنه لا بأس بالصلاة في الثوب الواحد(١). انتهى.

فهذا الذهبي ذكره رضي الله عنه في حفاظ الحديث، وأفردَ في مناقبه جزءًا، ونقل عنه أنه رأى أنساً رضي الله عنه غير مرة.

*****

وقال ابن سعد في «الطبقات»:

أبو حنيفة: واسمه النعمان بن ثابت مولى لبني تيم الله بن ثعلبة من بكر بن وائل، وهو صاحب الرأي، أجمعوا على أنه توفي ببغداد في رجب أو شعبان سنة خمسين ومائة في خلافة أبي جعفر.

أخبرنا محمد بن عمر قال: حدثني حماد بن أبي حنيفة قال: مات أبو حنيفة وهو ابن سبعين سنةً.

وقال محمد بن عمر: وكنت يوم مات بالكوفة أتوقع قدومَه، فجاءنا نعيُه، وكان ضعيفًا في الحديث(٢). انتهى.

قلت: ذكره هنا في الطبقة الخامسة.

وقال أيضًا في القسم الثاني من الجزء السابع(١): أبو حنيفة: واسمه النعمان بن ثابت، مولى بني تيم الله بن ثعلبة، وهو ضعيف

---

(١) «تذكرة الحفاظ» ١٦٨/١ في الطبقة الخامسة.

(٢) «الطبقات الكبرى» ٣٦٨/٦ الطبقة الخامسة.

في الحديث، وكان صاحب رأي[٢]، وقدم بغداد، فمات بها في رجب أو شعبان سنة خمسين ومائة (١٥٠هـ)، وهو ابن سبعين سنةً، ودُفِنَ في مقابر الخَيْزُرَان[١]. انتهى.

---

[١] «الطبقات الكبرى» ٣٢/٧، طبعة قديمة.

[٢] قلت: قال ابن عبد البر: والذين رووا عن أبي حنيفة ووثقوه وأثنوا عليه أكثر من الذين تكلموا فيه، والذين تكلموا فيه من أهل الحديث أكثر ما عابوا عليه الإغراق في الرأي والقياس، وذلك ليس بعيب، وكان يقال يستدل على نباهة الرجل من الماضين بتباين الناس فيه، أ لا ترى أن عليًا - كرَّمَ الله وجهه - هلك فيه فئتان، محب أفرط، ومبغض مفرّط. قال الإمام علي بن المديني: أبو حنيفة روى عنه الثوري، وابن المبارك، وحماد بن زيد، وهشام، ووكيع، و عباد بن العوام، وجعفر بن عون، وهو ثقة لا بأس به. وكان شعبة حسن الرأي فيه. وقال ابن معين: أصحابنا يفرطون في أبي حنيفة وأصحابه، فقيل له: أ كان يكذب ؟ قال: أنبل من ذلك. اهـ.

وقال التاج السبكي: الحذرَ كلَّ الحذر أن تفهم من قاعدتهم أن الجرح مقدم على التعديل على إطلاقها، بل الصواب أن من ثبتت إمامته وعدالته وكثر مادحوه ومزكوه، وندر جارحه وكانت هناك قرينة دالة على سبب جرحه من تعصب مذهبي أو غيره، لم يلتفت إلى جرحه. ثم قال بعد كلام طويل: قد عرفناك أن الجارح لا يقبل منه الجرح - وإن فسره - في حق من غلبت طاعاته على معصيته، ومادحوه على ذاميه، ومزكوه على جارحيه إذا كانت هناك قرينة يشهد العقل بأن مثلها حامل على الوقيعة فيه من تعصب مذهبي أو منافسة دنيوية كما يكون بين النظراء أو غير ذلك، وحينئذ فلا يلتفت لكلام الثوري وغيره في أبي حنيفة، وابن أبي ذئب وغيره في مالك، وابن معين في الشافعي، والنسائي في أحمد بن صالح، ونحو ذلك.

ولو أطلقنا تقديم الجرح لما سَلِمَ لنا أحدٌ من الأئمة إذ ما من إمام إلا وقد طعن فيه طاعنون وهلك فيه هالكون.

قال ابن عبد البر: هذا باب غلط فيه كثيرون، وضَلَّتْ فيه فرقةٌ جاهليةٌ، لا ندري ما عليها في ذلك.

قال: والدليل على أنه لا يقبل في حق من اتخذه جمهور الناس إمامًا في الدين قول أحد من الطاعنين لأن السلف قد سبق من بعضهم في بعض كلام كثير في حال الغضب، ومنه ما حمل على الحسد، ومنه ما حمل على التأويل مما لا يلزم المقول فيه شيء منه، وذكر من كلام الصحابة والتابعين وتابعيهم من النظراء بعضهم في بعض شيئًا كثيرًا، لم يلتفت إليه أحد من العلماء ولا عولوا عليه، لأنهم بشر يغضبون ويرضون والقول في الرضاء غير القول في الغضب، فمن أراد أن يقبل قول العلماء بعضهم في بعض، فليقبل قول من ذكرنا من الصحابة بعضهم في بعض، وقول من ذكرنا من التابعين وأئمة المسلمين بعضهم في بعض، فإن فعل ذلك فقد ضل ضلالاً بعيدًا وخسر خسرانًا مبينًا، وإن لم يفعل - ولن يفعل إن هداه الله وألهمه رشده - فليقف عند ما شرطناه فإنه الحق الذي لا يصح غيره إن شاء الله تعالى. اهـ.

وقال الشيخ عاشق إلهي البرني في تعليقه على «الخيرات الحسان» (ص ٥٨): ولا يرتاب العارف بتراجم الأعيان أن الإمام أبا حنيفة كان كبير الشأن في الحديث كما كان جليلاً في الفقه والاجتهاد، وروى الحديثَ عن كبراء التابعين الثقات الأثبات، وروى عنه ثقاتٌ أثباتٌ حفاظ الحديث من المكثرين في الرواية الذين يقتدى بهم في ميدان صناعة الحديث، وهم معروفون في كتب أسماء الرجال، على رغم أنف من يقول: إن أبا حنيفة - رحمه الله - لم يكن له كثير علم بالحديث، أو إنه كان يتيمًا ومسكينًا في هذا العلم. ولا يعبأ بقول هؤلاء الجازفين الحاقدين المبغضين لأبي حنيفة - رضي الله تعالى عنه -، فإن هؤلاء لا يطالعون كتب أسماء الرجال ولا يلاحظون ما أثنَى على أبي حنيفة - رحمه الله - الأئمةُ الكبار، ولا يلتفتون إلى أن كبراء

قلت: ذكره ههنا فيمن كان ببغداد من الفقهاء والمحدثين، وعداده في الجزء السادس كان باعتبار أنه رضي الله عنه كان من الكوفيين، ومثل هذا يكون في كتابه كثيرًا، ولعله لم يذكر هنا الطبقة اكتفاءً على الأول.

وقال الذهبي في «دول الإسلام» في ذيل سنة خمسين ومائة: (وفي رجبها) مات فقيه الملة أبو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي، وله سبعون سنة. رأى أنساً بالكوفة.

أصحاب الحديث كانوا يأخذون بقوله ويفتون به، ولو كان فقهه رأيًا محضًا مخترعًا من عند نفسه - كما يزعم هؤلاء - لما أفتى بقوله وكيع بن الجراح، ويحيى بن سعيد القطان وغيرهما من المحدثين. وكان يحيى بن معين إمام الجرح والتعديل من غلاة الحنفية كما قال الذهبي في رسالته «معرفة الرواة المتكلم فيهم بما لا يوجب الرد» وابن معين قال: كتبتُ بيدي ألف ألف حديث، وقال أحمد ابن حنبل: كل حديث لا يعرفه ابن معين فليس هو بحديث، وقال العجلي: ما خلق الله تعالى أحدًا أعرف بالحديث من يحيى بن معين. فلو كان الإمام أبو حنيفة رحمه الله غير عالم بالحديث صاحب فقه غير مأخوذ من الكتاب والسنة ما قلده مثل هذا الإمام الجليل، أعني ابن معين رحمهم الله تعالى.

قال ابن خلدون في «مقدمته» (ص ٤٥) - وهو يذكر أبا حنيفة -: ويدل على أنه من كبار المجتهدين في علم الحديث اعتماد مذهبه فيما بينهم والتعويل عليه واعتباره ردًّا وقبولاً.

(١) قلت: قال الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» ١١٥/١٠: وَصُلِّيَ عَلَيْهِ بِبَغْدَادَ سِتَّ مَرَّاتٍ لِكَثْرَةِ الزِّحَامِ، وَقَبْرُهُ هُنَاكَ رَحِمَهُ اللَّهُ.

وأكبر شيوخه: عطاء بن أبي رباح.

وشيخه في الفقه: حماد بن أبي سليمان.

قال يزيد بن هارون: ما رأيتُ أورعَ ولا أعقلَ من أبي حنيفة. وبلغنا أن أبا حنيفة مكث عشرين سنة يصلي الصبح بوضوء العشاء[١].

وقال الشافعي: الناس في الفقه عيالٌ على أبي حنيفة.

وقد أفردتُ مناقبَه في جزءٍ. وقبره عليه مشهدٌ كبيرٌ، وقبةٌ عاليةٌ ببغداد، رحمة الله تعالى عليه. انتهى بلفظه[٢].



---

[١] قلت: وسيأتي في الجزء الآتي عن أسد بن عمرو أن الإمام صلى الفجر بوضوء العشاء أربعين سنةً.

[٢] «دول الإسلام» ٧٩/١ ط، أولى سنة ١٣٣٧هـ من دائرة المعارف حيدرآباد، الهند.

قلت: وقد أورد الذهبيُّ مناقبَه في «سير أعلام النبلاء» ٣٩٠/٦، و«تأريخ الإسلام» ٣٠٥/٩ - ٣١٣ أيضًا، وقال في آخره: وَأَخْبَارُ أَبِي حَنِيفَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَمَنَاقِبُهُ لا يَحْتَمِلُهَا هَذَا التَّارِيخُ فَإِنِّي قَدْ أَفْرَدْتُ أَخْبَارَهُ فِي جُزْءَيْنِ.

وهذا آخر التعليق على «جزء ما قال المحدثون في الإمام أبي حنيفة»، قام به العبد الضعيف رضوان الله النعماني البنارسي، وفرغ منه في نصف محرم الحرام من سنة ١٤٣٣هـ/ ١١ ديسمبر ٢٠١١م يوم الأحد. فلله الحمد أولاً وآخرًا، وصلى الله على خير خلقه سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان، أجمعين.

جزء

ما قال المؤرخون

في الإمام أبي حنيفة

رضي الله عنه

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال القاضي أحمد الشهير بابن خلكان في «وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان»:

الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت - رضي الله تعالى عنه - ابن زوطى بن ماه، الفقيه، الكوفي، مولى تيم الله بن ثعلبة، وهو من رهط حمزة الزيات، كان خزَّازاً يبيع الخزَّ، وجده زوطى من أهل كابل، وقيل: من أهل بابل، وقيل: من أهل الأنبار، وقيل: من أهل نسا، وقيل: من أهل ترمذ، وهو الذي مسه الرِّقُّ فأُعتِقَ[1]، ووُلِدَ ثابتٌ على الإسلام.

---

[1] قلت: وفي «الانتقاء» لابن عبد البر (ص ١٨٩): يقال لهم: بنو قفل، وكان جمَّالاً لعبد الله بن قفل. وقد قال الشيخ الإمام عبد الفتاح أبو غدة في تعليقه عليه: وقد ردَّ هذا القولَ غيرُ واحد من العلماء، وذكروا أن جدَّ أبي حنيفة كان من الأحرار، وأنه ما وقع عليهم رِقٌّ قط، وتعرَّضوا لنقد مثل هذه الرواية وبيَّنوا ما فيها من ضعف.

قال الإمام الحافظ البدر العيني في تأريخه الكبير «عقد الجمان في تأريخ أهل الزمان» في ترجمة أبي حنيفة بعد أن ذكر هذا القول ونحوه: قال إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة: نحن من أبناء فارس الأحرار، والله ما وقع علينا رقٌّ قط. قلت: هذا أصح الأقاويل، لأن إسماعيل أعلم بنسبه ونسب جده من غيره. انتهى.

وأقول على فرض صحة هذه الرواية وأمثالها، وأنها في أعلى درجات الصحة من الثبوت: **فما يضير أبا حنيفة من ذلك ؟** بل يزيده رفعةً وشرفاً وسُمُوًّا ☜

وقال إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة: أنا إسماعيل بن حماد بن النعمان بن ثابت بن النعمان بن المرزبان[١]، من أبناء فارس من الأحرار، والله ما وقع علينا رِقٌّ قط. وُلِدَ جدي سنة ثمانين، وذهب ثابت إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهو صغير، فدعا له بالبركة فيه وفي ذريته، ونحن نرجو أن يكون الله تعالى قد استجاب ذلك لعلي فينا، والنعمان بن المرزبان أبو ثابت هو الذي أهدى لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه الفالوذج في يوم المهرجان، فقال: مهرجونا كل يوم، هكذا قال الخطيب في «تأريخه»[٢] والله تعالى أعلم.

– إن صح –، وذلك يُعَرِّفنا بأن الإسلام رفع بالعلم قدر ابن العبد المملوك فوق الحُكَّام والملوك، وجعل بالعلم الموالِيَ تفضل السادة الأحرار.

قال الإمام الموفق المكي في «مناقب أبي حنيفة» ١/١١-١٣ بعد ما أورد مثل هذه الروايات: فلو صحَّ هذا، فاعلم أن التقوى أعلى الأنساب، وأقوى أسباب الثواب، قال الله تعالى: إن أكرمكم عند الله أتقاكم، ولهذا قَرَّبَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالاً الحبشيَّ، وبَعَّدَ عمَّه أبا لهب القرشي. وقد حاز أبو حنيفة شرفَ التقوى. اهـ.

[١] قلت: وقد تخالف القولان هنا في أن والد ثابت: النعمان أو زوطى، وجد المرزبان أو ماه، فقال ابن حجر الهيتمي في «الخيرات» (ص: ٤٢): أجيب عنه بأنه يحتمل أن يكون لكل اسمان، أو اسم ولقب، أو معنى زوطى النعمان والمرزبان ماه.

[٢] «تأريخ بغداد» ١٣/٣٢٦.

وأَدْرَكَ أبو حنيفة أربعةً من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، وهم: أنس بن مالك، وعبد الله بن أبي أوفى بالكوفة، وسهل بن سعد الساعدي بالمدينة، وأبو الطفيل عامر بن واثلة بمكة، ولم يلق أحداً منهم ولا أخذ عنه[1]، وأصحابه يقولون: لقي جماعةً من الصحابة وروى عنهم، ولم يثبت ذلك عند أهل النقل[2].

ونقل الخطيب في «تأريخ بغداد» أنه رأى أنسَ بنَ مالك رضي الله تعالى عنه.

وأخذ الفقهَ عن: حماد بن أبي سليمان.

وسمع: عطاءَ بن أبي رباح، وأبا إسحاق السبيعي، ومحارب ابن دثار، والهيثم بن حبيب الصواف، ومحمد بن المنكدر، ونافعاً مولى عبد الله بن عُمر رضي الله تعالى عنهما، وهشام بن عروة، وسماك بن حرب.

وروى عنه: عبد الله بن المبارك، ووكيع بن الجرَّاح، والقاضي أبو يوسف، ومحمد بن الحسن الشيباني، وغيرهم.

وكان عالماً، عاملاً، زاهداً، عابداً، ورعاً، تقياً، كثيرَ الخشوع، دائمَ التضرع إلى الله تعالى.

---

[1] قال الشيخ محمد حسن السنبلي (ت:١٣٠٥هـ) في «مقدمة تنسيق النظام» (ص ١٢): لعل المراد باللقاء مزيد الصحبة وطولها، وكذا بالأخذ زيادة الاستفادة وكثرة الأخذ والتلمذ.

[2] وانظر ما علقت فيما سبق (ص: ٣٣) على قول صاحب «جامع الأصول».

ونقله أبو جعفر المنصور من الكوفة إلى بغداد، فأراده على أن يوليه القضاءَ، فأبى، فحلف عليه ليفعلنَّ، فحلف أبو حنيفة أن لا يفعل، فحلف المنصور ليفعلن، فحلف أبو حنيفة أن لا يفعل، وقال: إني لن أُصلح إلى قضاء، فقال الربيع بن يونس الحاجب: ألا ترى أمير المؤمنين يحلف؟ فقال أبو حنيفة: أمير المؤمنين على كفارة أيمانه أقدر مني على كفارة أيماني، وأبى أن يلي، فأمر به إلى الحبس في الوقت، والعوام يدعون أنه تولى عدد اللبن أياماً ليُكَفِّرَ بذلك عن يمينه، ولم يصح هذا من جهة النقل.

وقال الربيع: رأيتُ المنصور ينازل أبا حنيفة في أمر القضاء، وهو يقول: اتق الله، ولا ترع في أمانتك إلا من يخاف الله، والله ما أنا مأمون الرضا، فكيف أكون مأمون الغضب؟ ولو اتَّجَه الحكم عليك، ثم تهددتَني أن تغرقني في الفُرات أو تلي الحكم، لاخترتُ أن أغرق، ولك حاشية يحتاجون إلى من يكرمهم لك، ولا أصلح لذلك، فقال له: كذبتَ، أنت تصلح، فقال له: قد حكمت لي على نفسك، كيف يحل لك أن تولي قاضياً على أمانتك وهو كذاب.

وحكى الخطيب أيضاً في بعض الرويات: أن المنصور لما بنى مدينته ونزلها، ونزل المهدي في الجانب الشرقي وبنى مسجد الرصافة، أرسل إلى أبي حنيفة فجيء به، فعرض عليه قضاء الرصافة، فأبى، فقال له: إن لم تفعل ضربتُك بالسياط، قال: أو

تفعل ؟ قال: نعم، فقعد في القضاء يومين فلم يأته أحد، فلما كان في اليوم الثالث أتاه رجل صفار ومعه آخر، فقال الصفار: لي على هذا درهمان وأربعة دوانيق ثمن تور صفر، فقال أبو حنيفة: اتق الله وانظر فيما يقول الصفار، قال: ليس له عليَّ شيء، فقال أبو حنيفة للصفار: ما تقول ؟ فقال: استَحلِفْه لي، فقال أبو حنيفة للرجل: قل: والله الذي لا إله إلا هو، فجعل يقول، فلما رآه أبو حنيفة معتمداً على أن يقول، قطع عليه وضرب بيده إلى كمه، فحل صرة وأخرج درهمين ثقيلين، وقال للصفار: هذان الدرهمان عوض عن باقي تورك ؟ فنظر الصفار إليهما وقال: نعم، فأخذ الدرهمين، فلما كان بعد يومين، اشتكى أبو حنيفة، فمرض ستة أيام، ثم مات[١].

وكان يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري أمير العراقيين أراده أن يلي القضاء بالكوفة أيام مروان بن محمد – آخر ملوك بني أمية – فأبى عليه، فضربه مائة سوط وعشرة أسواط، كل يوم عشرة أسواط، وهو على الامتناع، فلما رأى ذلك خلَّى سبيلَه. وكان أحمد بن حنبل رضي الله عنه إذا ذكر ذلك بكى وتَرَحَّمَ على أبي حنيفة، وذلك بعد أن ضُرِبَ أحمد على القول بخلق القرآن.

---

[١] «تأريخ بغداد» ١٣/٣٢٩.

وقال إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة: مررت مع أبي بالكناسة، فبكى، فقلت له: يا أبت ما يبكيك؟ فقال: يا بُنَيّ! في هذا الموضع ضَرَبَ ابنُ هبيرة أبي عشرةَ أيام، في كل يوم عشرة أسواط، على أن يلي القضاء، فلم يفعل.

والكُناسة: بضم الكاف، موضع بالكوفة.

وكان أبو حنيفة حسن الوجه، حسن المجلس، شديد الكرم، حسن المواساة لإخوانه، وكان ربعةً من الرجال، وقيل: كان طوالاً تعلوه سمرة، أحسن الناس منطقاً، وأحلاهم نغمةً.

وذكر الخطيب في «تأريخه» أن أبا حنيفة رأى في المنام كأنه ينبش قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبعث من سأل ابنَ سيرين، فقال ابن سيرين: صاحب هذه الرؤيا يثير علماً لم يسبقه إليه أحدٌ قبله[1].

قال الشافعي رضي الله عنه: قيل لمالك: هل رأيتَ أبا حنيفة؟ فقال: نعم، رأيتُ رجلاً لو كلَّمَك في هذه السارية أن يجعلها ذهباً لقام بحجته.

وروى حرملة بن يحيى عن الشافعي رضي الله عنه أنه قال: الناس عيال على هؤلاء الخمسة: من أراد أن يتبحر في الفقه فهو عيال على أبي حنيفة، وكان أبو حنيفة ممن وفق له في الفقه، ومن أراد أن يتبحر في الشعر فهو عيال على زهير بن أبي سلمى، ومن أراد أن يتبحر

---

[1] «تأريخ بغداد» ١٣/٣٣٥.

في المغازي فهو عيال على محمد بن إسحاق، ومن أراد أن يتبحر في النحو فهو عيال على الكسائي، ومن أراد أن يتبحر في التفسير فهو عيال على مقاتل بن سليمان، هكذا نقله الخطيب في «تأريخه»[1].

وقال يحيى بن معين: القراءة عندي قراءة حمزة، والفقه فقه أبي حنيفة، على هذا أدركتُ الناس.

وقال جعفر بن الربيع: أقمت على أبي حنيفة خمس سنين، فما رأيت أطول صمتاً منه، فإذا سئل عن الفقه تفتح وسال كالوادي، وسمعت له دويًا وجهارةً في الكلام. وكان إماماً في القياس.

قال علي بن عاصم: دخلت على أبي حنيفة وعنده حجام يأخذ من شعره، فقال للحجام: تَتَبَّعْ مواضع البياض، فقال الحجام: لا تزد، فقال: ولِم ؟ قال: لأنه يكثر، قال: فتتبع مواضع السواد لعله يكثر[2]. وحكيت لشريك هذه الحكاية فضحك، وقال: لو ترك أبو حنيفة قياسه لتركه مع الحجام.

---

[1] المرجع السابق ١٣/٣٤٦.

[2] ذكره في «تأريخ بغداد» ١٣/٣٤٧، قلت: وذكر هذه الحكايةَ أيضًا بفرق يسير في «كتاب المتفق والمفترق» (١/٤٩٤ في ترجمة أسيد بن أبي أسيد) عن محمد ابن ثابت الأحول قال: سمعت أسيد بن أبي أسيد الحارثي تعجب من ضرب جواب أبي حنيفة وقياسه، قال: أخذ الحجام شعرة، فقال: القط هذه الشعرات البيض، فقال الحجام: لا تلقطها فإنك إن لقطتها كثرت، فقال أبو حنيفة: إن كان البيض تكثر إذا لقطت فالقط السود إذن حتى تكثر.

وقال عبد الله بن رجاء: كان لأبي حنيفة جار بالكوفة إسكاف، يعمل نهاره أجمع، حتى إذا جَنَّه الليل رجع إلى منزله، وقد حمل لحماً، فطبخه، أو سمكة فيشويها، ثم لا يزال يشرب، حتى إذا دبَّ الشراب فيه غَرَّدَ بصوت، وهو يقول -:

أضاعوني وأي فتى أضاعوا ... ليوم كريهة وسداد ثغر

فلا يزال يشرب ويردد هذا البيت حتى يأخذه النوم، وكان أبو حنيفة يسمع جلبته كل ليلة، وأبو حنيفة كان يصلي الليل كلَّه، ففقد أبو حنيفة صوته، فسأل عنه، فقيل: أخذه العَسَسُ منذ ليالٍ وهو محبوس، فصلى أبو حنيفة صلاة الفجر من الغد، وركب بغلته، واستأذن على الأمير، فقال الأمير: ائذنوا له وأقبلوا به راكباً ولا تدعوه ينزل، حتى يطأ البساط ببغلته، ففعل، ولم يزل الأمير يوسع له في مجلسه، وقال: ما حاجتك ؟ فقال: لي جار إسكاف أخذه العسس منذ ليال، يأمر الأمير بتخليته، فقال: نعم، وكل من أخذ في تلك الليلة إلى يومنا هذا، فأمر بتخليتهم أجمعين، فركب أبو حنيفة، والإسكاف يمشي وراءه، فلما نزل أبو حنيفة مضى إليه

☜ قال الشيخ عاشق إلهي البرني في تعليقه على «تبييض الصحيفة» (ص: ١٠٦): أظن هذه الحكاية مختلقة على أبي حنيفة، لأن نتف الشيب منهي عنه، ولا يظن بهذا الإمام الجليل أن يأمر الحجام بما نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم، والله تعالى أعلم.

وقال: يا فتى! أضعناك ؟ فقال: لا، بل حفظت ورعيت، جزاك الله خيراً عن حرمة الجوار ورعاية الحق، وتاب الرجل ولم يَعُدْ إلى ما كان عليه[1].

قال ابن المبارك: رأيت أبا حنيفة في طريق مكة، وقد شوي لهم فصيل سمين، فاشتهوا أن يأكلوه بخل، فلم يجدوا شيئاً يصبون فيه الخل، فتحيروا، فرأيت أبا حنيفة وقد حفر في الرمل حفرةً وبسط عليها السفرة، وسكب الخل على ذلك الموضع، فأكلوا الشواء بالخل، فقالوا: تُحسِن كلَّ شيء، فقال: عليكم بالشكر، فإن هذا شيء أُلْهِمتُه لكم فضلاً من الله عليكم.

وقال ابن المبارك أيضاً: قلت لسفيان الثوري: يا أبا عبد الله! ما أبعد أبا حنيفة عن الغيبة! ما سمعته يغتاب عدواً له قط، فقال: هو أعقل من أن يسلط على حسناته ما يذهبها[2].

وقال أبو يوسف: دعا أبو جعفر المنصور أبا حنيفة، فقال الربيع صاحب المنصور، وكان يعادي أبا حنيفة: يا أمير المؤمنين!

---

[1] وكذا ذكر هذه الحكايةَ أيضًا العلامة كمال الدين الدميري في «حياة الحيوان» ١٨١/١ (في ذكر البغل).

[2] وفي «فضائل أبي حنيفة» ص ٧٥ لأبي القاسم المعروف بابن أبي العوام (ت:٣٣٥هـ): قال ابن المبارك: إذا سمعتُهم يذكرون أبا حنيفة بسوءٍ، ساءني ذلك، وأخاف عليهم المقتَ من الله عزَّ وجلَّ.

هذا أبو حنيفة يخالف جدك، كان عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يقول: «إذا حلف على اليمين ثم استثنى بعد ذلك بيوم أو بيومين جاز الإستثناء»، وقال أبو حنيفة: لا يجوز الاستثناء إلا متصلاً باليمين، فقال أبو حنيفة: يا أميرالمؤمنين! إن الربيع يزعم أنه ليس لك في رقاب جندك بيعة، قال: وكيف ؟ قال: يحلفون لك، ثم يرجعون إلى منازلهم، فيستثنون، فتبطل أيمانهم، فضحك المنصور وقال: يا ربيع! لا تتعرض لأبي حنيفة، فلما خرج أبو حنيفة، قال له الربيع: أردت أن تشيط بدمي، قال: لا، ولكنك أردت أن تشيط بدمي فخلصتك وخلصت نفسي.

وكان أبو العباس الطوسي سيء الرأي في أبي حنيفة، وكان أبو حنيفة يعرف ذلك، فدخل أبو حنيفة على المنصور، وكثر الناس، فقال الطوسي: اليوم أقتل أبا حنيفة، فأقبل عليه فقال: يا أبا حنيفة! إن أمير المؤمنين يدعو الرجل فيأمره بضرب عنق الرجل لا يدري ما هو، أ يسعه أن يضرب عنقه ؟ فقال: يا أبا العباس! أمير المؤمنين يأمر بالحق أم بالباطل ؟ فقال: بالحق، قال: انفذ الحق حيث كان، ولا تسأل عنه، ثم قال أبو حنيفة لمن قرب منه: إن هذا أراد أن يوثقني فربطته.

وقال يزيد بن الكميت: كان أبو حنيفة شديدَ الخوف من الله تعالى، فقرأ بنا علي بن الحسن المؤذن ليلة في العشاء الأخيرة سورة

﴿إِذَا زُلْزِلَتْ﴾ وأبو حنيفة خلفه، فلما قضى الصلاة وخرج الناس، نظرتُ إلى أبي حنيفة وهو جالس يتفكر ويتنفس، فقلت: أقوم لا يشتغل قلبه بي، فلما خرجت تركت القنديل ولم يكن فيه إلا زيت قليل، فجئت وقد طلع الفجر، وهو قائم وقد أخذ بلحية نفسه، وهو يقول: يا من يجزي بمثقال ذرة خيرٍ خيراً، ويا من يجزي بمثقال ذرة شرٍّ شراً، أَجِرِ النعمان عبدك من النار، ومما يقرب منها من السوء، وأَدْخِلْه في سعة رحمتك، قال: فأَذَّنْتُ، وإذا القنديل يزهو وهو قائم، فلما دخلت، قال لي: تريد أن تأخذ القنديل ؟ قلت: قد أذنت لصلاة الغداة، فقال: اكتم علي ما رأيت، وركع ركعتين، وجلس، حتى أقمت الصلاة، وصلى معنا الغداة على وضوء أول الليل.

وقال أسد بن عمرو: صلى أبو حنيفة فيما حفظ عليه صلاة الفجر بوضوء العشاء أربعين سنةً، وكان عامة ليلة يقرأ جميع القرآن في ركعة واحدة، وكان يُسمَع بكاؤه في الليل حتى يرحمه جيرانُه، وحفظ عليه أنه ختم القرآن في الموْضع الذي توفي[1] فيه سبعة آلاف ختمة.

---

(١) قوله: الموضع الذي توفي فيه: هذا لا يصح لأنه توفي في السجن ولم يكمث فيه إلا أيامًا معدودات، فالصحيح ما قاله الموفق في «مناقبه» (٢٠٧) ولقد حرز ما قرأ أبو حنيفة في الموضع الذي فارق منزله آخر ما فارق (يعني بيته الذي نقل منه إلى سجن بغداد) دون سائر المواضع من منزله فبلغ ذلك مما ختم القرآن سبعة آلاف مرة. قاله الشيخ عاشق البرني في تعليقه على «الخيرات الحسان» (ص:٨٤). وكذا في «تعليق تبييض الصحيفة» (ص:٩٢) وزاد فيه: وليس هذا ببعيد، ☜

وقال إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة عن أبيه: لما مات أبي سألنا الحسن بن عمارة أن يتولى غسله، ففعل، فلما غسله قال: رحمك الله وغفر لك، لم تُفطِر منذ ثلاثين سنةً، ولم تتوسد يمينك في الليل منذ أربعين سنةً، وقد أتعبت من بعدك، وفضحت القراء.

ومناقبه وفضائله كثيرة، وقد ذكر الخطيب في «تأريخه» منها شيئاً كثيراً[1]، ثم أعقب ذلك بذكر ما كان الأليق تركه والإضراب عنه[1].

فقد نُقِلَ عن أبي بكر بن عياش أنه لما حضرته الوفاة بكت أخته، فقال: ما يبكيكِ ؟ انظري إلى تلك الزاوية فقد ختمت فيها ثماني عشر ألف ختمة.

[1] روى في «تأريخه» ١٣/٣٣٧ عن حجر بن عبد الجبار قال: قيل للقاسم بن معن بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود: أ ترضى أن تكون من غلمان أبي حنيفة ؟ قال: ما جلس الناس إلى أحد أنفع من مجالسة أبي حنيفة. وقال له القاسم: تعال معي إليه فجاء فلما جاء إليه لزمه، وقال: ما رأيت مثل هذا، وكان أبو حنيفة ورعًا سخيًا.

وقال أيضًا ١٣/٣٤٤ عن محمد بن سعد الكاتب قال: سمعت عبد الله بن داود الخريبي يقول: يجب على أهل الإسلام أن يدعوا الله لأبي حنيفة في صلاتهم، قال: وذكر حفظه عليهم السنن والفقه.

وقال خلف بن أيوب: صار العلم من الله تعالى إلى محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ثم صار إلى أصحابه، ثم صار إلى التابعين، ثم صار إلى أبي حنيفة وأصحابه، فمن شاء فليرض ومن شاء فليسخط. كذا في «تأريخ بغداد» ١٣/٣٣٦. وفيه أيضًا: عن محمد بن حفص عن الحسن بن سليمان أنه قال

في تفسير حديث «لا تقوم الساعة حتى يظهر العلم» قال: هو علم أبي حنيفة وتفسيره للآثار.

ويقول فضيل بن عياض: كان أبو حنيفة رجلاً فقيهًا معروفًا بالفقه، مشهورًا بالورع، واسع المال، معروفًا بالإفضال على كل من يطيف به، صبورًا على تعليم العلم بالليل والنهار، حسن الليل، كثير الصمت قليل الكلام حتى ترده مسألة في حرام وحلال فكان يحسن أن يدل على الحق، هاربًا من مال السلطان، وكان إذا وردت عليه مسألة فيها حديث صحيح اتبعه، وإن كان عن الصحابة والتابعين، وإلا قاس فأحسن القياس. كذا في «تأريخ بغداد» ١٣/٣٤٠.

[١] قلت: قال ابن حجر الهيتمي الشافعي في رد ما نقله الخطيب عن القادحين فيه: اعلم أنه لم يقصد بذلك إلا جمع ما قيل في الرجل على عادة المؤرخين، ولم يقصد بذلك انتقاصه، ولا الحط عن مرتبته بدليل أنه قدم كلام المادحين وأكثر منه - ومن نقل مآثره السابقة في أكثرها إنما اعتمد أهل المناقب فيه على ما في تأريخ الخطيب - ثم عقبه بذكر كلام القادحين ليتبين أنه من جملة الأكابر الذين لم يسلموا من خوض الحساد والجاهلين فيهم.

ومما يدل على ذلك أيضًا أن الأسانيد التي ذكرها للقدح لا يخلو غالبها من متكلم فيه أو مجهول. («الخيرات الحسان»، ص: ١٦٢).

وقال الشيخ محمد زاهد الكوثري في «تأنيب الخطيب» (ص ٣١): إني في ريب من كون هذه الكلمة صادرة عن الخطيب نفسه، بل أرجح أن تكون مما زيد في «تأريخ الخطيب» بعد وفاته، لأني أراه لا يرضى لنفسه أن يقع في مثل هذا التناقض المكشوف، وهو الذي تكلم على الرجال الذين هم في أسانيد المثالب في هذا الكتاب بالتضعيف والتكذيب كما نقله عنه الملك المعظم في رده على الخطيب، وكما نقلنا عنه أيضًا بحروفه.

ثم أثبت الكوثري تصرف الأقلام في تأريخ الخطيب، فراجعه هناك.

وقال الكوثري أيضًا (ص ١٤): ومثل الإمام أبي حنيفة في إمامته وديانته

فمثل هذا الإمام لا يشك في دينه، ولا في ورعه وتحفظه، ولم يكن يعاب بشيء سوى قلة العربية، فمن ذلك ما روي أن أبا عمرو بن العلاء المقرئ النحوي سأله عن القتل بالمثقل، هل يوجب القود أم لا ؟ فقال: لا، كما هو قاعدة مذهبه خلافاً للإمام الشافعي رضي الله عنه، فقال له أبو عمرو: ولو قتله بحجر المنجنيق، فقال: ولو قتله بأبا قبيس، يعني الجبل المطل على مكة حرسها الله تعالى. وقد اعتذروا عن أبي حنيفة بأنه قال ذلك على لغة من يقول: إن الكلمات الست المعربة بالحروف - وهي أبوه، وأخوه، وحموه، وهنوه، وفوه، وذو مال - أن إعرابها يكون في الأحوال الثلاث بالألف، وأنشدوا في ذلك:-

إن أباها وأبا أباها   قد بلغا في المجد غايتاها

وتواتر ثقته وأمانته واستفاضة يقظته ونباهته وكثرة أتباعه، وذيوع فقهه، وانتشار مذهبه في البقاع والأصقاع، وكمال عقله وسعة علمه لا يسمع فيه وقيعة كل من هب ودب ولا سيما بعد العلم بما ينطوي عليه خصومه من اصطناع المثالب بقلة دين وقلة تبصر، فلا يتصور أن يناهض ما روي في مثالبه في تأريخ الخطيب ونحوه ما تواتر في مناقبه إلا إذا كان الخبر التالف يقاوم الخبر المتواتر، أو كانت الهواجس والوساوس قاضية على الملموس من الحقائق. وليس الصحيح من خبر الأحاد يعارض المستفيض المشهور فضلاً عن المتواتر، فكيف؟ وأسانيد ما ساقوه في مثالبه - رضي الله عنه - فيها وجوه الاعتلال والاختلال ما سنشرحه إن شاء الله تعالى. اهـ. ثم ذكر ذلك الاعتلال والاختلال إلى آخر الكتاب، فليراجع من شاء. من تعليق الشيخ عاشق إلهي على «الخيرات الحسان» (١٦٤).

وهي لغة الكوفيين، وأبو حنيفة من أهل الكوفة، فهي لغته، والله أعلم[١].

وهذا وإن كان خروجاً عن المقصود لكن الكلام ارتبط بعضه ببعض فانتشر.

وكانت ولادة أبي حنيفة سنة ثمانين للهجرة، وقيل: سنة إحدى وستين، والأول أصح، وتوفي في رجب، وقيل: في شعبان سنة خمسين ومائة، وقيل ثلاث وخمسين، والأول أصح؛ وكانت وفاته ببغداد في السجن ليلي القضاء، فلم يفعل، هذا هو الصحيح، وقيل: إنه لم يمت في السجن، وقيل: توفي في اليوم الذي وُلِدَ فيه الإمام الشافعي رضي الله عنهما، ودُفِنَ في مقبرة الخيزران، وقبره هناك مشهور، يُزَار.

وزوطى: بضم الزاي وسكون الواو وفتح الطاء المهملة وبعدها ألف مقصورة، وهو اسم نبطي.

وكابل: بفتح الكاف وضم الباء الموحدة بعد الألف وبعدها لام، وهي ناحية معروفة من بلاد الهند ينسب إليها جماعةٌ من العلماء وغيرهم.

وأما بابل[١] والأنبار: فهما معروفان، فلا حاجة إلى الكلام عليهما.

---

[١] وكذا في «حياة الحيوان» أيضًا ١/١٨٢.

وبنى شرف الملك أبو سعد محمد بن منصور الخوارزمي مستوفي مملكة السلطان ملك شاه السلجوقي على قبر الإمام أبي حنيفة مشهداً وقبةً، وبنى عنده مدرسةً كبيرةً للحنفية، ولما فرغ من عمارة ذلك، ركب إليها في جماعة من الأعيان، ليشاهدوها، فبينما هم هناك، إذ دخل عليهم الشريف أبو جعفر مسعود المعروف بالبياضي الشاعر - المقدم ذكره[٢] - وأنشده:-

ألم تر أن العلم كان مبدداً * فجمعه هذا المغيب في اللحد
كذلك كانت هذه الأرض ميتة * فأنشرها فعل العميد أبي سعد

فأجازه أبو سعد جائزة سنية. ولهذا أبي سعد مدرسة بمدينة مرو، وله عدة ربط وخانات في المفاوز، وكان كثير الخير وعمل المعروف، وانقطع في آخر عمره عن الخدمة ولزم بيته، وكانوا يراجعونه في الأمور، وتوفي في المحرم سنة أربع وستين وأربع مائة بأصبهان، رحمه الله تعالى.

---

[١] بابل: بكسر الباء اسم ناحية منها الكوفة، كما في «معجم البلدان» ١/٣٠٩.
والأنبار: بفتح الألف وسكون النون بعده وفتح الباء الموحدة والراء بعد الألف: مدينة على الفرات في غربي بغداد بينهما عشرة فراسخ. انظر «الأنساب» للسمعاني ١/٣٥٢، و«معجم البلدان» للحموي ١/٢٥٧. [رضوان الله النعماني].

[٢] أي: في كتاب ابن خلكان «وفيات الأعيان»، تقدمت ترجمة أبي جعفر مسعود البياضي فيه برقم (٧١٩).

وكان بناء المشهد والقبة في سنة تسع وخمسين وأربع مائة، وقد تقدم في ترجمة ألب أرسلان محمد والد السلطان ملك شاه أنه بنى مشهداً على قبر الإمام أبي حنيفة، وكذلك وجدتُه في بعض التواريخ، وقد غاب عني الآن من أين نقلته ؟ ثم وجدتُ بعد ذلك أن الذي بنى المشهد والقبة أبو سعد المذكور، والظاهر أن أبا سعد بناهما نيابةً عن ألب أرسلان، وهو كان المباشر كما جرت عادة النواب مع ملوكهم، فنُسبت العمارة إليه بهذه الطريقة، ويدل على ذلك أن تاريخ العمارة في أيام ألب أرسلان، وأبو سعد كان مستوفياً في أيامه، ثم استمر على وظيفته في أيام ولده ملك شاه، وهذا إنما ذكرته لنجمع بين النقلين، والله أعلم. انتهى[1].

وذكره في «المنتخب من كتاب ذيل المذيل من تاريخ الصحابة والتابعين»، فقال: ذكر من هلك منهم سنة ١٥٠هـ، منهم:

أبو حنيفة النعمان بن ثابت، مولى تيم الله بن ثعلبة من بكر ابن وائل، قال أبو هشام الرفاعي: سمعت عمي كثير بن محمد يقول: سمعت رجلاً من بني قفل من خيار بني تيم الله يقول لأبي حنيفة: أنت مولاي، فقال: أنا والله لك أشرف منك لي. وذكر الوليد بن شجاع أن علي بن الحسن بن شقيق حدثه قال: كان عبد الله بن المبارك يقول: إذا اجتمع هذان على شيء، فذلك

---

[1] أي: كلام ابن خلكان في «وفيات الأعيان» ٤/٥٧٦ – ٥٨٥.

قولي[١]، يعني: الثوري وأبا حنيفة. قال سليمان بن أبي الشيخ: وكان أبو سعيد الرازي يماري أهل الكوفة، ويفضل أهل المدينة، فهجاه رجلٌ من أهل الكوفة، ولقبه شرشير، وقال كليب في جهنم اسمه شرشير، فقال:—

هذي[٢] مسائل لا شِرْشِير يُحسنها
إن سيل عنها ولا أصحاب شرشير
وليس يعرف هذا الدين نعلمه
إلاحنيفية كوفية الدوري
لا تسألن مدينيا وتكفره
إلا عن البَمِّ والمثناة والزِّير[٣]

---

[١] كذا في «المنتخب» ١/١٣٨، وفي «تاريخ بغداد» ١٣/٣٤٣، و«السير» ٧/٢٤٧: «قوي».

[٢] كذا في «المنتخب»، وفي «الانتقاء» لابن عبد البر: «عندي».

[٣] البم بالباء الموحدة المفتوحة ثم الميم المشددة: الوتر الغليظ من أوتار العود، وهو لفظ أعجمي، وليس بعربي.
والمثناة: الغناء.
والزير، بكسر الزاي: الدقيق من أوتار العود، وهو لفظ أعجمي، وليس بعربي.
وهي أربعة أوتار: البم، ويليه المَثْلث، ثم المَثنى، ثم الزير وهو أدقها.
ويشير الشاعر بهذا البيت إلى ما كان معروفًا في أهل المدينة من حُبِّهم للغناء والأوتار. اهـ من تعليق الشيخ عبد الفتاح على كتاب «الانتقاء» لابن عبد البر رحمهما الله تعالى (ص ٢٦٠).

وقال بعضهم: «والمثنى أو الزير».

قال سليمان: قال أبو سعيد: فكتبت إلى أهل المدينة إنكم قد هجيتم بكذا وكذا، فأجيبوا، فأجابه رجلٌ من أهل المدينة فقال:

لقد عجبت لغاوٍ ساقه قدر
وكل أمر إذا ما حُمَّ مقدور
قال المدينة أرض لا يكون بها
إلا الغناء والا البمّ والزير
لقد كذبتَ لعمر الله إن بها
قبر الرسول وخير الناس مقبور.

قال سليمان: وحدثني عَمرو بن سليمان العطار قال: كنت بالكوفة أجالس أبا حنيفة، فتزوج زفر، فحضره أبو حنيفة، فقال له: تكلم، فخطب فقال في خطبته: هذا زفر بن الهذيل، وهو إمام من أئمة المسلمين، وعَلَمٌ من أعلامهم في حسبه وشرفه وعلمه، فقال بعض قومه: ما يسرُّنا أن غير أبي حنيفة خطب حين ذكر خصاله ومدحه، وكره ذلك بعض قومه، وقالوا له: حضر بنو عمك وأشراف قومك، وتسأل أبا حنيفة يخطب ؟ فقال: لو حضر أبي قدَّمتُ أبا حنيفة عليه، وزفر بن الهذيل عنبري من بني تميم.

وقال إبراهيم بن بشار الرمادي: قال ابن عيينة: ما رأيت أحداً أجرأ على الله من أبي حنيفة، أتاه رجل من أهل خراسان

بمائة ألف مسألة، فقال له: إني أريد أن أسألك عنها، فقال: هَاتِها. قال سفيان: فهل رأيتم أجرأ على الله عزَّ وجلَّ من هذا.

حدثني عبد الله بن أحمد بن شبويه قال: حدثني أبي قال: حدثني علي بن الحسين بن واقد عن عمه الحكم بن واقد قال: رأيت أبا حنيفة يفتي من أول النهار إلى أن تعالى النهار، فلما خف عنه الناس دنوت منه، فقلت: يا أبا حنيفة! لو أن أبا بكر وعمر في مجلسنا هذا، ثم ورد عليهما ما ورد عليك من هذه المسائل المشكلة لكفَّا عن بعض الجواب ووقفا عنده، فنظر إليَّ، وقال: أَمَحموم أنت ؟.

حدثنا أحمد بن خالد الخلال قال: سمعت الشافعي يقول: سئل مالك يومًا عن البتّي، فقال: كان رجلا مقاربًا، وسئل عن ابن شبرمة، فقال: كان رجلاً مقاربًا، قيل: وأبو حنيفة ؟ قال: لو جاء إلى أساطينكم هذه وقايسكم لجعلها من خشب[1]، انتهى.

---

[1] أي: كلام الإمام أبي جعفر الطبري في كتابه «المنتخب من كتاب ذيل المذيل من تأريخ الصحابة والتابعين» ١٣٨/١.

قلت: وفي «الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء» لابن عبد البر (ص:١٤٦): قال أحمد بن خالد الخلال: قال سمعت الشافعي يقول: سئل مالك يومًا عن عثمان البَتّي، قال: كان رجلاً مقاربًا، وسئل عن ابن شبرمة، فقال: كان رجلاً مقاربًا، قيل: فأبو حنيفة ؟ قال: لو جاء إلى أساطينكم هذه – يعني السواري – فقايسكم على أنها خشب، لظننتم أنها خشب.

وقال الشيخ حسين بن محمد بن الحسن الديار بكري، المتوفى سنة ٩٦٦هـ في «تأريخ الخميس»:[1]

وفي رجب سنة مائة وخمسين توفي فقيه العراق الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطى بن ماه الكوفي مولى بني تيم الله بن ثعلبة، أحد الأئمة الأربعة المشهورين، وُلِدَ بالكوفة سنة ثمانين، ونشأ بها.

قال أبو بكر أحمد ابن ثابت المؤرخ: يقال: إن أباه ثابتًا هو الذي أهدى الفالوذج لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه يوم النيروز، وقيل: كان يوم المهرجان.

وكان أبو حنيفة يقول: أنا في بركة دعوة صدرت من علي ابن أبي طالب رضي الله تعالى عنه.

وعن ابن حيرون عن الضمري قال: كان أبو حنيفة حسن السمت والوجه والثوب والفعل والمواساة لكل من طاف به.

صفته: أنه كان ربعةً من الرجال، ليس بالطويل ولا بالقصير، وكان من أحسن الناس منطقًا.

ورُوِيَ أن ولادته كانت في عصر الصحابة، وتفقه في زمن التابعين. وفي «الكشف شرح المنار»: أنه وُلِدَ في زمن الصحابة، ولقي

---

(١) «تأريخ الخميس» ٣٢٦/٢ طبعة قديمة.

ستة منهم: أنس بن مالك، وعبد الله بن الحارث بن جزء، وعبد الله ابن أُنَيس، وعبد الله بن أبي أوفى، وواثلة بن الأسقع، ومعقل بن يسار، وفي جابر بن عبد الله اختلاف[١]. ونشأ في زمن التابعين.

وفي «تذنيب الرافعي»: يقال: إنه أدرك أنسَ بنَ مالك حين نزل الكوفة.

وسمع: عطاءَ بن أبي رباح، والزهري، وقتادة.

وفي «تأريخ اليافعي»: رأى أنسًا، وروى عن عطاء بن أبي رباح، وتفقه على حماد بن أبي سليمان.

وفي «تأريخ اليافعي»: وكان قد أدرك أربعة من الصحابة: أنس بن مالك بالبصرة، وعبد الله بن أبي أوفى بالكوفة، وسهل بن سعد الساعدي بالمدينة، وأبا الطفيل عامر بن واثلة بمكة[٢].

---

[١] قلت: وقد ذكر ابن حجر الهيتمي في «الخيرات الحسان» (٤٨-٥٤) ستة عشر صحابيًا سمع منهم الإمام أبو حنيفة، وأورد أيضًا الاعتراض على سماعه من بعضهم، ثم أجاب عن بعض وسكت عن بعض، وقال في جابر: واعترض بأنه مات سنة تسع وسبعين قبل ولادة أبي حنيفة بسنة.اهـ.

قلت: ويمكن تحقق السماع منه على قول من قال: إن الإمام أبا حنيفة وُلِدَ سنة إحدى ستين، فيكون الإمام يوم السماع ابن ثمان سنين، فيتحقق السماع. والله أعلم. [رضوان الله النعماني].

[٢] «مرآة الجنان وعبرة اليقظان» ٢٤٢/١ لأبي محمد، عفيف الدين، عبد الله بن أسعد بن علي، الشافعي، اليافعي (٧٦٨هـ).

وذكر الخطيب في «تاريخ بغداد» أنه رأى أنسَ بن مالك.

وأخذ الفقه عن حماد بن أبي سليمان، وسمع عطاءَ بن أبي رباح، وأبا إسحاق السبيعي، ومحارب بن دثار، والهيثم بن حبيب الصواف، ومحمد بن المنكدر، ونافعا مولى عبد الله بن عمر، وهشام بن عروة، وسماك بن حرب.

وفيه: قال أبو حنيفة رضي الله عنه: دخلت على أبي جعفر أمير المؤمنين، فقال لي: يا أبا حنيفة! عمن أخذتَ العلم ؟ قال: قلت: عن حماد عن إبراهيم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وعن علي بن أبي طالب، وعبد الله بن مسعود، وعبد الله عباس رضي الله عنهم، قال: بخ بخ، استوثقت ما شئت يا أبا حنيفة الطيبين الطاهرين المباركين رضي الله عنهم أجمعين.

وفيه أيضًا: قيل: دخل أبو حنيفة يومًا على المنصور وهو أبو جعفر وعنده عيسى بن موسى، قال المنصور: إن هذا لَعالم الدنيا اليوم، فقال له: يا نعمان! عمن أخذت العلم ؟ قال: عن أصحاب عمر عن عمر، وعن أصحاب علي عن علي، وعن أصحاب عبد الله عن عبد الله، وما كان في وقت ابن عباس على وجه الأرض أعلم منه، قال: لقد استوثقت.

روى عن أبي حنيفة: ابنُ المبارك، ووكيع بن الجراح، والقاضي أبو يوسف، ومحمد بن الحسن الشيباني، وغيرهم.

وحُكي عن الشافعي رحمه الله أنه قال: الناس كلهم عيال على ثلاثة: على مقاتل بن سليمان في التفسير، وعلى زهير بن أبي سليمان في الشعر، وعلى أبي حنيفة في الكلام.

وفي رواية عن الشافعي أنه قال: الناس في الفقه عيال على أبي حنيفة. وروى حرملة بن أبي يحيى عن الشافعي أنه قال: الناس عيال على هولاء الخمسة: من أراد أن يتبحر في الفقه فهو عيال على أبي حنيفة، ومن أراد أن يتبحر في التفسير فهو عيال على مقاتل بن سليمان، ومن أراد أن يتبحر في النحو فهو عيال على الكسائي، ومن أراد أن يتبحر في الشعر فهو عيال على زهير بن أبي سليمان، ومن أراد أن يتبحر في المغازي فهو عيال على ابن إسحاق. وكذا في «حياة الحيوان».[١]

وفي «ربيع الأبرار»: يقال: إن أربعة لم يسبقوا ولم يلحقوا: أبو حنيفة في فقهه، والخليل في نحوه، والجاحظ في تأليفه، وأبو تمَّام في شعره[٢].

وفي «تذنيب الرافعي»: عرض المنصور أخو السفاح عليه القضاء فامتنع عن الدخول فيه، فألَحَّ عليه وضربه ثلاثين سوطًا، ثم اعتذر وأمر له بثلاثين ألف درهم، فلم يقبلها.

---

[١] «حياة الحيوان» للدميري (ت: ٨٠٨هـ) ١/٢٠٣ (في ذكر البغل).

[٢] «ربيع الأبرار» للزمخشري ٤/٥٥. باب العلم والحكمة.

وفي «تأريخ اليافعي»: نقله أبو جعفر المنصور من الكوفة إلى بغداد، وأراد أن يوليه القضاء، فأبى، فحلف عليه ليفعلن، فحلف أبو حنيفة لا يفعلن. فقال الربيع بن يونس الحاجب لأبي حنيفة: أ لا ترى أن أمير المؤمنين يحلف ؟ فقال أبو حنيفة: أمير المؤمنين أقدر مني على كفارة يمينه، فأمر به إلى السجن، فلم يقبل القضاء، فضربه مائة سوط، وحبس إلى أن مات في السجن، وقيل: إن المنصور سقاه سمًا، فمات شهيدًا رحمه الله، سَمَّه لقيامه مع إبراهيم بن عبد الله بن حسن، كذا في «تأريخ اليافعي»[1]، وكذا روي عن بشر بن الوليد.

قال الخطيب أيضًا في بعض الروايات: إن المنصور لما بنى مدينته ونزل بها، ونزل المهدي في الجانب الشرقي، وبنى مسجد الرصافة، أرسل إلى أبي حنيفة، فجيء به، فعرض عليه قضاء الرصافة، فأبى، فقال له: إن لم تفعل ضربتُك بالسياط، فقال: أو تفعل ؟ قال: نعم، فقعد في القضاء يومين، فلم يأته أحدٌ، فلما كان في اليوم الثالث أتاه رجل صفار ومعه آخر، فقال الصفار: لي على هذا درهمان وأربعة دوانيق ثمن تور صفر، فقال أبو حنيفة: اتق الله وانظر فيما يقول الصفار، قال: ليس له عليَّ شيءٌ، فقال أبو حنيفة

(1) «مرآة الجنان» لليافعي ١/٢٤٣.

للصفار: ما تقول؟ قال: اِستحلِفْه لي، فقال أبو حنيفة للرجل: قل: والله الذي لا إله إلا هو، فجعل يقول، فلما رآه أبو حنيفة [مقدمًا[1]] على اليمين، قطع عليه، وأخرج من صرة في كمه درهمين ثقيلين، وقال للصفار: هذان الدرهمان عِوَضًا مالِكَ عليه؟ [قال: نعم، فأخذ الدرهمين[2]]، فلما كان بعد يومين اشتكى أبو حنفة، فمرض ستة أيام، ثم مات رحمه الله.

وكان يزيد ابن هبيرة الفزاري أمير العراقيين أراده للقضاء بالكوفة في أيام مروان بن محمد آخر ملوك بني أمية، فأبى عليه أبو حنيفة، فضربه مائة سوط وعشرة أسواط، كل يوم عشرة أسواط، وهو على الامتناع، فلما رأى ذلك خلى سبيله.

وفي «ربيع الأبرار»: أراد عمرُ بنُ هبيرة أبا حنيفة على القضاء، فأبى، فحلف ليضربنه بالسياط على رأسه، وليسجننه، وفعل، حتى انتفخ وجه أبي حنيفة ورأسه من الضرب. فقال: الضرب في الدنيا بالسياط أهون عليَّ من مقامع الحديد في الآخرة.

وعن ابن عون: ضُرِبَ أبو حنيفة مرتين على القضاء، ضربه ابن هبيرة، وضربه أبو جعفر، وأحضر بين يديه فدعا له بسويق وأكرهه على شربه، فشربه، ثم قام، فقال: إلى أين ؟ فقال: إلى حيث

---

(1) كذا في المخطوطة، وفي «تأريخ بغداد» ٣٢٩/١٣: «معزماً».

(2) ما بين المعكوفين أثبتُّه من «تأريخ بغداد».

بعثتني، فمضي به إلى السجن، فمات فيه[١].

وكان الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه، إذا ذكر ذلك بكى وترحم على أبي حنيفة، وذلك بعد أن ضُرِبَ الإمام أحمد على ترك القول بخلق القرآن.

وفي «الكشاف»: وكان أبو حنيفة رحمه الله يُفتي سراً بوجوب نصرة زيد بن عليّ - رضوانُ الله عليهما -، وحمل المال إليه، والخروج معه على اللص المتغلب المتسمى بالإمام والخليفة كالدوانيقي وأشباهه. وقالت له امرأة: أشرت على ابني بالخروج مع إبراهيم ومحمد ابني عبد الله بن الحسن حتى قتل. فقال: ليتني مكان ابنك. وكان يقول في المنصور وأشياعه: لو أرادوا بناء مسجد وأرادوني على عدّ آجره لما فعلت[٢].

وذكر الخطيب أيضًا في «تأريخه» أن أبا حنيفة رأى في المنام أنه نبش قبر رسول الله ﷺ، فبعث من سأل محمدَ بن سيرين، قال ابن سيرين: صاحب هذه الرؤيا يثير علمًا لم يسبقه إليه أحدٌ[٣].

وعن صالح بن محمد بن يوسف بن رزين عن أبي حنيفة أنه

---

[١] «ربيع الأبرار» ٣١٢/٤ باب القضاء وذكر القضاة.

[٢] «تفسير الكشاف» للإمام محمود بن عمر الزمخشري (ت:٥٣٨هـ) ١٤٢/١ في سورة البقرة [آية: ١٢٤-١٢٥].

[٣] «تأريخ بغداد» ٣٣٥/١٣.

قال: رأيت في المنام كأني نبشت قبر النبي صلى الله عليه وسلم فأخرجت عظامًا، فاحتضنتُها، قال: فهَالَتْنِي هذه الرؤيا، فدخلتُ على ابن سيرين وقصصتُها عليه، فقال: إن صدقت رؤياك، لتحيينَّ سنةَ محمد صلى الله عليه وسلم.

وعن يوسف بن الصباغ قال: قال لي رجل: رأيتُ كأنَّ أبا حنيفة ينبش قبر النبي صلى الله عليه وسلم، فسألت عن ذلك ابن سيرين، ولم أُخبِرْه من الرجل، قال: هذا رجل يُحيي سنةَ محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

قال الإمام الشافعي رحمه الله: قيل لمالك: هل رأيتَ أبا حنيفة ؟ قال: نعم، رأيتُ رجلاً لو كلمك في هذه السارية أن يجعلها ذهبًا لقام بحجته.

وفي «ربيع الأبرار»: كان الثوري إذا سُئِل عن مسألة دقيقة قال: لا يحسن أن يتكلم فيها إلا رجل قد حسدناه، يعني: أبا حنيفة.

قال علي بن عاصم: لو وُزِنَ عقل أبي حنيفة بعقل أهل الأرض لرجح به. قال يزيد بن هارون: ما رأيت أورعَ ولا أعقلَ من أبي حنيفة، مكث عشرين سنةً يصلي الصبح بوضوء العشاء.

وقال جعفر بن عبد الرحمن[1]: كان أبو حنيفة يحيي الليل بقراءة القرآن في ركعةٍ ثلاثين سنةً.

---

[1] وفي «تأريخ بغداد» ١٣/٣٥٤: «حفص بن عبد الرحمن».

وفي «ربيع الأبرار»: ختم القرآن في ركعة واحدة أربعةٌ من الأئمة: عثمان بن عفان، وتميم الداري رضي الله عنهما، وسعيد ابن جبير، وأبو حنيفة[1].

ورُوِي عن أسد بن عمرو أنه قال: صلى أبو حنيفة الفجر بوضوء العشاء أربعين سنةً، وكان يُسمع بكاؤه في الليل حتى ترحمه جيرانه.

وفي «حياة الحيوان»: كان أبو حنيفة إماماً في القياس، وصلى صلاة الفجر بوضوء العشاء أربعين سنةً، وكان عامة ليله يقرأ القرآن في ركعة واحدة، وكان يبكي في الليل حتى ترحمه جيرانه. وختم القرآن في الموضع الذي توفي فيه سبعة آلاف مرة. ولم يفطر منذ ثلاثين سنة[2].

وقال علي بن يزيد الصدائي: رأيت أبا حنيفة ختم القرآن [في شهر رمضان ستين ختمةً بالليل، وستين ختمةً بالنهار[3]].

وروي عن أبي حنيفة أنه قال: دخلت البصرة وظننت أن لا أُسألَ عن شيء إلا أجبتُ عنه، فسألوني عن أشياء لم يكن عندي

---

[1] «ربيع الأبرار» ٢٧٢/٢ بعد باب الغضب والرفق.

[2] «حياة الحيوان» ٢٠٣/١.

[3] كذا في «تأريخ الخميس» ٣٢٨/٢، ولكن في «التدوين في أخبار قزوين» ٢٧٦/١ وغيره: «في شهر رمضان ستين ختمةً: ختمة بالليل وختمة بالنهار». وهذا هو الصواب.

فيها جواب، فجعلت على نفسي أن لا أفارق حمادًا [حتى يموت]، فصحبتُه [ثماني عشرة[1]] سنةً. قال: وما صليت صلاةً منذ مات حماد إلا استغفرتُ لحماد مع والدي، ولكل من قرأت عليه.

وكان أبو حنيفة يقول: ما جاءنا - أو يقول: أتانا - عن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم قَبِلْنَاه على الرأس والعين، وما جاءنا - أو أتانا - عن الصحابة اخترنا أحسنه، ولم نخرج عن أقاويلهم، وما جاءنا - أو أتانا - عن التابعين، فهم رجال ونحن رجال، وأما غير ذلك فلا نسمع التشنيع، كذا في «ربيع الأبرار»[2] غير قوله: وأما غير ذلك فلا نسمع التشنيع.

وفي «نوابغ الكلم»: وتَّدَ الله الأرضَ بالأعلام المنيفة كما وتد الحنيفية بعلوم أبي حنيفة، الأئمة الجلة الحنفية، أزمة الملة الحنيفية. الناس حتفي وأحنفي، والدين والعلم حنيفي وحنفي، كذا في «ربيع الأبرار».[3]

وحُتَيْف: هو ابن السجف بن سعد التابعي، وكان شجاعًا باسلاً.

---

[1] كذا في «تاريخ بغداد» ٣٣٣/١٣، و«تهذيب الكمال» ٤٢٧/٢٩، و«تهذيب الأسماء واللغات» ٧٩٥/١، و«السير» ٣٩٨/٦، و«الثقات» للعجلي ٣٢١/١ وغيرها، ووقع في المخطوطة: «عشرين».

[2] «ربيع الأبرار» ٢٠/٤ باب العلم والحكمة.

[3] «ربيع الأبرار» ٢١/٤، و«الكلم النوابغ» (ص ٥٤١) كلاهما للزمخشري.

والحَنْتَفُ: الجَرادُ المُنَتَّفُ المُنَقّى للطَّبْخِ.

والحَنْتُوف: الذي ينتف لحيته من هَيَجانِ المِرارِ به.

والأحْنَفُ بنُ قَيْسٍ من كبار التابعين، والسُّيوفُ الحَنِيفِيَّةُ: تُنْسَبُ إليه، لأنه أوَّلُ مَن أمَرَ باتِّخاذِها، والقِياس: أحْنَفِيٌّ، كذا في «القاموس».

وكان أبو حنيفة يقول: قولنا هذا رأي وهو أحسن ما قدمنا عليه، فمن جاءنا بأحسن منه فهو أولى بالصواب.

وفي «الملل والنحل» للشهرستاني: وهو أحسن ما قدرنا عليه، فمن قدر على غير ذلك فله ما رأى[1].

ومن أصحابه: محمد بن الحسن، وأبو يوسف يعقوب، وزفر ابن هذيل، والحسن بن زياد اللؤلؤي، وأبو مطيع البلخي، وبِشْر المريسي رحمهم الله.

ومن تورّعه عما دخله الشبهة: ما رواه حفص بن عبد الرحمن وكان شريك أبي حنيفة في التجارة، وكان أبو حنيفة يتَّجر عليه ويبعث إليه بمتاع، ويقول له: في ثوبِ كذا وكذا عيبٌ، فبَيِّنْ إذا بعتَه، فباع حفصٌ المتاعَ ولم يُبَيِّنْ ونسي، فلما علم أبو حنيفة تصدق بثمن الثياب كلِّها.

---

[1] «الملل والنحل» ١/٢٠٥.

ومنْ ورعه: أن شاةً سُرِقت في عهده فلم يأكل لحم الشاة مدةً تعيش الشاة فيها، وكان يتمثل بهذين البيتين:

عطاء ذي العرش خير من عطائكم
وفضله واسع يرجى وينتظر
أنتم يكدر ما تعطون بمَنِّكم
والله يعطي فلا منٌّ ولا كدر

ورُويَ أن امرأةً دخلتْ في مسجد أبي حنيفة وهو جالس بين أصحابه، فأخرجتْ تفاحةً أحد جانبيها أحمر والأخر أصفر، فوضعتْها بين يديه ولم تتكلم، فأخذها أبو حنيفة، وشَقَّها نصفين، فقامت المرأة وخرجت، ولم يعرف أصحابه مرادَها، فسألوه عن ذلك، فقال: إنها ترى تارةً أحمر مثل أحد جانبي التفاحة، وتارةً أصفر مثل الجانب الآخر، سألَتْ أ يكون حيضًا أو طهرًا ؟ فشققت التفاحة، وأريتُها باطنها، وأردتُ بذلك أن لا تطهرين حتى ترين البياض مثل باطنها، فقامت وخرجتْ.

وفي «المبسوط»: أن أعرابيًا دخل على أبي حنيفة وهو جالس بين أصحابه فقال له: أ في الصلاة واو، أو واوان ؟ فقال: واوان، فقال: بارك الله فيك كما بارك في لا ولا، فلم يعلم أحد سؤال السائل، ولا جوابَ أبي حنيفة، فسألوه عن ذلك، فقال: سألني في التشهد واو أو واوان[1] ؟ فقلت: واوان، فدعا لي بالبركة

[1] واو كتشهد ابن مسعود، أو واوان كتشهد أبي موسى كما في «المبسوط» ١/٥٠.

كما بارك في الشجرة الزيتونة لا شرقية ولا غربية.

وقال أحمد بن كامل وعبد الباقي بن قانع: توفي أبو حنيفة رحمه الله ببغداد سنة خمسين ومائة، وكان ابنَ سبعين.

وقال النووي في «تهذيب الأسماء واللغات»: توفي في سنة إحدى، وقيل: ثلاث وخمسين ومائة، كذا في «حياة الحيوان»[1].

وهي السنة التي وُلِدَ فيها الإمام الشافعي رحمه الله وقيل: مات في يوم ولادته، لكن قال البيهقي: لم يثبت اليوم.

وفي «ربيع الأبرار»: نُعِيَ إلى شعبة فقال بعد الاسترجاع: قد طفئ من أهل الكوفة أضوأ نور أهل العلم أما إنهم لا يرون مثله أبدًا[2].

ويقال: إن مسعرًا لما بلغه وفاة أبي حنيفة قال: مات أفقه المسلمين وصلى عليه قاضي القضاة الحسن بن عمارة في جمع عظيم.

وعن عبد الحميد بن عبد الرحمن قال: رأيتُ في المنام كأن نجمًا سقط من السماء فقيل: أبو حنيفة ثم سقط آخر فقيل: مسعر ثم سقط آخر فقيل: سفيان فمات أبو حنيفة قبل مسعر ثم مسعر قبل سفيان ثم سفيان.

---

(١) «حياة الحيوان» للإما كمال الدين الدميري ٢٠٣/١. قلت: قال النووي في «تهذيب الأسماء واللغات» ٨٠٠/١: توفي ببغداد سنة خمسين ومائة، هذا هو المشهور الذى قاله الجمهور، وكذا رواه الخطيب عن الجمهور. ثم روى عن يحيى بن معين رواية غريبة أنه توفي في سنة إحدى وخمسين. وعن مكي بن إبراهيم أنه توفي سنة ثلاث وخمسين، والله أعلم. [رضوان الله النعماني البنارسي].

(٢) «ربيع الأبرار» ٢١/٤.

وعن خلف بن هشام عن صدقة المقابري وكان صدقة مجاب الدعوة يقال: لما دُفِنَ أبو حنيفة في مقابر الخيزران سمعت صوتاً من الليل ثلاث ليال يقول -:

ذهب الفقه فلا فقه لكم .. واتقوا الله وكونوا حنفا

مات نعمان فمن هذا الذي .. يحيي الليل إذا ما سحفا

وقال الذهبي: قبره مشهد كبير وعليه قبة عالية ببغداد رحمه الله رحمةً واسعةً، انتهى[1].

قلت: شيءٌ من مناقبه رضي الله عنه في «خزينة الأصفياء»[2]. وفي الباب الأول من مقدمة «تنسيق النظام» (ص: ٧)

---

(١) أي: كلام الديار بكري في «تأريخ الخميس» ٢/٣٢٦ - ٣٢٩ طبعة قديمة.

(٢) قلت: وفي «خزينة الأصفياء» (بالفارسية، ص:٤١): ما معرَّبه: يقال: كلما زار أبو حنيفة روضةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول: السلام عليك يا رسول الله!، يجيء الجواب من الروضة: وعليك السلام يا إمام المسلمين. وقال يحيى بن معاذ الرازي: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام وقلتُ له: يا رسول الله! أين أطلبك ؟ قال: عند علم أبي حنيفة. وقال خواجه محمد بارسا في فصول ستة: وجود الإمام الأعظم من أعظم معجزات نبينا صلى الله عليه وآله وسلم بعد نزول القرآن، ومذهبي أن عيسى عليه السلام يعمل بمذهبه بعد نزوله أربعين سنةً.

قال صاحب «خزينة الأصفياء» في شأنه -:

بو حنيفه آن إمام ذي الكرام * مستفيض أز فيض أو شد خاص وعام.

نيك صورت نيك سيرت نيك روي * نيك خوي ونيك خواه ونيك نام.

سن توليدش بقول أهل سير * بے نياز ولفظ نيك است وأيام.

و«رسائل ثلاث» (ص: ٩)، و«ست» (ص: ١٢٨) لمولانا الشيخ عبد الحي[١]، و«المرقاة» لعلي القاري[٢].

---

(١) قلت: ذكر الشيخُ اللكنوي مناقبَ الإمام الأعظم في رسالته «إقامة الحجة على أن الإكثار في التعبُّد ليس ببدعة» (ص ٧٦-٨٩ بتحقيق الشيخ عبد الفتاح الحلبي) قال فيها بعد أن سرد أقوال العلماء: لو لا خوف الإطالة لسردتُ من الكتب المذكورة وغيرها من رسائل مناقبه ودفاتر التواريخ المعتبرة أضعافًا مضاعفةً، فإني قادر على ذلك بحول الله وقوته، ولكن خير الكلام ما قلَّ ودَلَّ.

(٢) قلت: قال القاري في «المرقاة» ٧٦/١: وقد ذكره المؤلف (صاحب المشكاة) أيضاً في أسماء رجاله راجيًا حصول بركة كماله لكن بعد ذكر الإمام مالك، وأورد اعتذارًا عن ذلك بقوله: وقد بدأنا بذكره لأنهم المقدم زمانًا وقدرًا ومعرفةً وعلمًا. قلت: كل ذلك بالنسبة إلى إمامنا غير صحيح، أما تقدم زمان أبي حنيفة فصريح، إذ وُلد مالك سنة خمس وتسعين، ووُلِد أبو حنيفة سنة ثمانين، وأما تقدم قدره على أبي حنيفة فمردود لأنه من أتباع التابعين، وإمامنا من التابعين كما ذكره السيوطي وغيره، وقد ورد في الحديث النبوي: «خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم».

وأما معرفته فمعروفة لأنها عمت الخلق شرقًا وغربًا سيما في بلاد ما وراء النهر وولاية الهند والروم فإنهم لا يعرفون إمامًا غيره ولا يعلمون مذهبًا سوى مذهبه. وبالجملة فأتباعه أكثر من أتباع جميع الأئمة من علماء الأمة، كما أن أتباع النبي صلى الله عليه وسلم أكثر من أتباع سائر الأنبياء، وقد ورد: «أنهم ثلثا أهل الجنة»، والحنفية أيضاً تجيء ثلثي المؤمنين والله أعلم.

وأما علمه فيكفي ما قال الشافعي في حقه: الخلق كلهم عيال أبي حنيفة في الفقه، والعذر في كثرة اشتغاله بالأمور الفقهية من المسائل الفرعية والدلائل ⟵

الأصولية أنه رأى أنه الأهم واحتياج الناس إليه أتم، وهو في الحقيقة اشتغال بالمعنى المعبر عنه بالدراية، وهو مفضل على التعلق بالمبنى الذي يقال له الرواية، وبهذا فاق على أقرانه من المحدثين وغيره. وقد سأله الأوزاعي عن مسائل وأراد البحث معه بوسائل فأجاب على وجه الصواب، فقال له الأوزاعي: من أين هذا الجواب ؟ فقال: من الأحاديث التي رويتموها، ومن الأخبار والآثار التي نقلتموها، وبيَّن له وجه دلالاتها وطريق استنباطاتها، فأنصف الأوزاعي ولم يتعسف، فقال: نحن العطارون وأنتم الأطباء أي: العارفون بالداء والدواء. وأيضًا كان عنده أن نقل الحديث الشريف لا يجوز إلا باللفظ دون المعنى، فهذا الاعتبار يقل التحديث بالمبنى مع أن له مسانيد متعددة وأسانيد معتمدة يعرفها أهل الخبرة، ويحكمون عليه بأنه من أهل النصرة.

قال: ولما ذكر شيخنا العلامة شيخ الإسلام مولانا وسندنا الشيخ شهاب الدين بن حجر المكي مناقب الإمام مالك وأحمد بن حنبل والشافعي في «شرح المشكاة» قال: تعين علينا إذ ذكرنا تراجم هؤلاء الأئمة الثلاثة أن نختم برابعهم المقدم عليهم تبركًا به لعلوّ مرتبته، وفاز بحسن الثناء عليه وإذاعة ذكره، وهو الإمام الأعظم فقيه أهل العراق ومن أكابر التابعين أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطى بن ماه مولى تيم الله بن ثعلبة الكوفي. قال عمر بن حماد بن أبي حنيفة: ذهب بثابت إلى علي بن أبي طالب وهو صغير فدعا له بالبركة فيه وفي ذريته، ونحن نرجو من الله أن يكون ذلك قد استجيب من علي فينا. اهـ. وهو كما رجا، فقد بارك الله في أبي حنيفة بركةً لا نهاية لأقصاها، ولا غاية لمنتهاها، وبارك في أتباعه فكثروا في سائر الأقطار وظهر عليهم من بركة صدقه وإخلاصه ما اشتهر به في سائر الأمصار.

قال ابن المبارك: كان يومًا في الجامع فوقعتْ حيَّةٌ فسقطتْ في حجره فهرب الناس وهو لم يزد على نفضها وجلس مكانه. وكان خزازًا يبيع الخز

☜ وكانه معروف في دار عمرو بن حريث. ومات أخو سفيان الثوري فاجتمع إليه الناس لعزائه، فجاء أبو حنيفة فقام إليه سفيان وأكرمه وأقعده في مكانه وقعد بين يديه، ولما تفرق الناس قال أصحاب سفيان: رأيناك فعلتَ شيئًا عجيبًا، قال: هذا رجل من العلم بمكان فإن لم أقم لعلمه قمت لسنه وإن لم أقم لسنه قمت لفقهه وإن لم أقم لفقهه قمت لورعه. وقال النضر بن شميل: كان الناس نيامًا عن الفقه حتى أيقظهم أبو حنيفة بما فَتَقَه وبيَّنه.

وقال زائدة: صليت معه في مسجده العشاءَ وخرج الناس ولم يعلم أني في المسجد فأردت أن أسأله مسألة فقام وافتتح الصلاة فقرأ حتى بلغ هذه الآية: ﴿فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم﴾ [الطور:٢٧] فلم يزل يرددها حتى أذن المؤذن للصبح وأنا أنتظره. وقال القاسم بن معن: قام أبو حنيفة ليلةً بهذه الآية: ﴿بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر﴾ [القمر: ٤٦] يرددها ويبكي ويتضرع. وقال وكيع: كان أبو حنيفة قد جعل على نفسه أن لا يحلف بالله في عرض كلامه إلا تصدق بدرهم فحلف فتصدق به، ثم جعل إن حلف أن يتصدق بدينار فكان إذا حلف صادقًا في عرض كلامه تصدق بدينار، وكان إذا أنفق على عياله نفقة تصدق بمثلها، وكان إذا اكتسى ثوبًا جديدًا كسى بقدر ثمنه الشيوخَ من العلماء، وكان إذا وُضِعَ بين يديه الطعام أخذ منه ضعف ما يأكله فيجعله على الخبز ثم يعطيه الفقير، ووهب لمعلم ابنه حماد خمس مائة درهم لما ختم. وجاءته امرأة تشتري منه ثوب خز فأخرج لها ثوبًا فقالت: إنها ضعيفة وإنها أمانة فبِعْنيه بما يقوم عليك، فقال: خذيه بأربعة دراهم، فقالت: لا تسخر بي وأنا عجوز كبيرة، فقال: إني اشتريت ثوبين فبعت أحدهما برأس المال إلا أربعة دراهم فبقي هذا بأربعة دراهم. وقال إسماعيل حفيده: كان عندنا رافضي له بغلان سمى أحدهما أبا بكر والآخر عمر فرمحه أحدهما فقتله، فقيل لجدي، فقال: ما قتله إلا المسمى بعمر، فكان كذلك. قلت: لأنه مظهر الجلال،، ☜

وأبو بكر مظهر الجمال.

ومن كراماته: أن أبا يوسف هرب صغيرًا إليه من أمه ليُتمه وفقره، فجاءت أمه إلى الإمام وقالت له: أنت الذي أفسدتَ ولدي، فأعطاه لها، ثم هرب إليه وتكرر منه ذلك فقال الإمام وهو على تلك الحالة الضيقة: كيف بك ؟ وأنت تأكل الفالوذج في صحن الفيروزج. فلما توفي ووصل أبو يوسف عند الرشيد ما وصل دعاه الرشيد يومًا وأخرج له فالوذجًا كذلك، فضحك أبو يوسف فعجب منه الرشيد فسأله فقال: رحم الله أبا حنيفة، وقص عليه القصة، اهـ كلام الشيخ ابن حجر ملخصًا، واكتفينا بكلامه فإنه على المخالفين حجة، وفيما نقله للموافقين كفاية، لأن المطنب في نعته مقصر، والمسهب في منقبته مختصر.

وقد حُكِيَ أن الشافعي سمع رجلاً يقع في أبي حنيفة فدعاه وقال: يا هذا! أ تقع في رجل سلم له جميع الناس ثلاثة أرباع الفقه، وهو لا يسلم لهم الربع، قال: وكيف ذلك؟ قال: الفقه سؤال وجواب وهو الذي تفرد بوضع الأسئلة، فسلم له نصف العلم، ثم أجاب عن الكل، وخصومه لا يقولون إنه أخطأ في الكل فإذ جعل ما وافقوا فيه مقابلاً بما خالفوا فيه سلم له ثلاث أرباع العلم، وبقي الربع مشتركًا بين الناس. ولما دخل الشافعي بغداد زار قبره وصلى عنده ركعتين فلم يرفع يديه في التكبير، وفي رواية: أن الركعتين كانتا الصبح وأنه لم يقنت، فقيل له في ذلك، فقال: أدبنا مع هذا الإمام أكثر من أن نظهر خلافه بحضرته.

قال ابن حجر المكي: وتَلْمَذَ له كبار من الأئمة المجتهدين والعلماء الراسخين عبد الله بن المبارك والليث بن سعد والإمام مالك بن أنس. قال القاري: ومنهم: داود الطائي وإبراهيم بن أدهم وفضيل بن عياض وغيرهم من أكابر السادة الصوفية رضي الله عنهم أجمعين. اهـ كلام القاري ملخصًا من «مرقاة المفاتيح» ١/٧٦-٨١. [رضوان الله البنارسي عفا الله عنه].

والكتب المؤلفة في هذا الفن.

«سيرة النعمان» للشبلي[1][2].

---

[1] هو: الشيخ العلامة شبلي بن حبيب البندولي الأعظمي، المعروف بـ«مولانا شبلي النعماني»، مات سنة اثنتين وثلاثين وثلاث مأة وألف (١٣٣٢هـ) كما في «نزهة الخواطر».

[2] قلت: وبه تم ما ذكره الشيخ الكاندهلوي في «جزء ما قال المؤرخون في الإمام أبي حنيفة»، وأقول تتميماً للعنوان المذكور:

ومن الكتب المصنَّفة في مناقب الإمام الأعظم أبي حنيفة ﷺ:

١- «مناقب الإمام أبي حنيفة وصاحبيه أبي يوسف ومحمد بن الحسن» لأبي عبد الله، شمس الدين، محمد بن أحمد الذهبي، المتوفى ٧٤٨هـ.

٢- و«الانتقاء في فضائل الأئمة الثلاثة الفقهاء» (مالك، والشافعي، وأبي حنيفة) لأبي عمر ابن عبد البر، المتوفى ٥٦٣هـ.

٣- «فضائل أبي حنيفة وأخباره ومناقبه» للإمام أبي القاسم عبد الله بن محمد السعدي المعروف بـ«ابن أبي العوام»، المتوفى ٣٣٥هـ.

٤- «عقود الجمان في مناقب أبي حنيفة النعمان» للإمام أبي عبد الله محمد بن يوسف الصالحي الدمشقي الشافعي، المتوفى ٩٤٢هـ.

٥- وانتقله إلى اللغة الأردية الشيخ عبد الله بن عبد الوهاب البستوي المهاجر المدني، وسماه بـ«تذكرة النعمان» نشرته أكاديمية شيخ الهند بـ«دار العلوم ديوبند».

٦- و«تبييض الصحيفة في مناقب الإمام أبي حنيفة» للإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، المتوفى ٩١١هـ.

٧- و«الخيرات الحسان في مناقب أبي حنيفة النعمان» للشيخ شهاب الدين أحمد ابن حجر الهيتمي الشافعي، المتوفى ٩٧٤هـ

٨- و «أبو حنيفة حياته وعصره، آراؤه وفقهه» للشيخ أبي زهرة، محمد بن أحمد، المولود سنة ١٣١٦هـ، وهو مترجم باللغة الأردية باسم «حيات امام ابوحنيفه».

٩- و «منازل الأئمة الأربعة» لأبي زكريا يحيى بن إبراهيم السلماسي، المتوفى ٥٥٠هـ.

١٠- و «مناقب الإمام أبي حنيفة» للشيخ عبد الرشيد بن بلال الشافعي.

١١- و «المواهب الشريفة في مناقب الإمام أبي حنيفة» للشيخ عاشق إلهي البرني المهاجر المدني.

١٢- و «حضرت امام ابوحنيفه كى سياسى زندگى» (حياة الإمام أبي حنيفة السياسية) للشيخ مناظر أحسن الكيلاني رحمه الله.

١٣- و «دفاع امام ابوحنيفه» (الدفاع عن الإمام أبي حنيفة).

١٤- و «امام اعظم ابوحنيفه كے حيرت انگيز واقعات» (قصصٌ مُدهِشةٌ للإمام أبي حنيفة) كلاهما للشيخ عبد القيوم الحقاني، أستاذ دار العلوم حقانية، بشاور، باكستان.

١٥- و «علم حديث ميں امام ابوحنيفه كا مقام» (مكانة الإمام أبي حنيفة في علم الحديث) للشيخ حبيب الرحمن القاسمي أستاذ الحديث بدار العلوم ديوبند في الهند.

١٦- و «امام ابوحنيفه اور علم حديث» (الإمام أبو حنيفة وعلم الحديث) للشيخ محمد علي الصديقي الكاندهلوي، وغير ذلك.

١٧- «امام ابوحنيفه اور ان كے ناقدين» (الإمام أبو حنيفة ونقاده) للشيخ حبيب الرحمن خان الشيرواني.

وهذا آخر ما علقتُ على كتاب الإمام الكاندهلوي «جزء ما قال المؤرخون في الإمام أبي حنيفة»، فلله الحمد أولاً وآخرًا، وصلى الله على خير خلقه سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان، أجمعين.

سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ، وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

فائدة

في إثبات تابعية الإمام

بقلم: رضوان الله النعماني البنارسي

قال الإمام عبد الحي اللكنوي رحمه الله في رسالته «إقامة الحجة» (ص: ٧٦-٨٩): اختلف العلماء في كون الإمام أبي حنيفة تابعيًا – بعد ما اتفقوا على أنه أدرك زمان الصحابة –، فمنهم من نفاه، وجمعٌ من الثقات أثبتوه؛ فقال شيخ الإسلام أبو عبد الله الذهبي في «الكاشف» عنه: النعمان بن ثابت بن زوطى، رأى أنسًا رضي الله عنه، وسمع عطاءً، والأعرج وعكرمة، وعنه أبو يوسف، ومحمد. أفردتُ سيرتَه في جزء. اهـ.

وفي «مرآة الجنان» لليافعي في حوادث سنة خمسين ومأة: فيها توفي فقيه العراق الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي، مولده سنة ثمانين، رأى أنسًا رضي الله عنه، وروى عن عطاء بن أبي رباح وطبقته. انتهى.

وفيه أيضًا بُعَيد هذا: كان قد أدرك أربعةً من الصحابة، هم أنس ابن مالك بالبصرة، وعبد الله بن أبي أوفى بالكوفة، وسهل بن سعد الساعدي بالمدينة، وأبو الطفيل عامر بن واثلة بمكة. قال بعض أصحاب التواريخ: لم يلق أحدًا منهم، ولا أخذ عنهم. وأصحابه يقولون: لقي جماعةً من الصحابة وروى عنهم. وذكر الخطيب في «تاريخ بغداد» أنه رأي أنس بن مالك كما تقدم. انتهى[1].

وفي «طبقات الحنفية» لعلي القاري المكي: قد ثبتتْ رؤيتُه لبعض الصحابة، واختلف في روايته عنهم، والمعتمد ثبوتها كما بينتُه في «سند

---

(١) «مرآة الجنان وعبرة اليقظان» لأبي محمد عفيف الدين اليافعي ١/٢٤٢.

الأنام شرح مسند الإمام، حالَ إسناده إلى بعض الصحابة الكرام، فهو من التابعين الأعلام كما صرح به العلماء الأعيان، داخلٌ تحت قوله تعالى: ﴿والذين اتَّبعوهم بإحسان﴾، وفي عموم قوله عليه الصلاة والسلام: «خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ..» رواه الشيخان[1].

---

[1] قلت: هذا الحديث لم أجده بهذا اللفظ في مصدر من مصادر الحديث، بل وجدت بلفظين آخرين سواه: وهما: «خير الناس قرني». و«خير أمتي قرني»، أما الأول فرواه البخاري في صحيحه (٢٦٥٢)، ومسلم (٢٥٣٣) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته».

ورواه الترمذي في «جامعه» (٢٢٢١، ٢٣٠٢) عن عمران بن حصين، و(٢٣٠٣) عن عمر ابن الخطاب، و(٣٨٥٩) عن ابن مسعود. ورواه عنه أحمد في «مسنده» ٣٧٨/١، وفي مواضع أخرى عن غيره من الصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين. ورواه ابن حبان وغيره.

وأما اللفظ الثاني فرواه البخاري في صحيحه (٣٦٥٠) عن عمران بن حصين، ومسلم (٢٥٣٣) عن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم ...».

ورواه أيضاً الإمام أحمد في «المسند» ٣٥٠/٥ عن بريدة. والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٦١٢٥) عن أبي هريرة. والطبراني في «الكبير» ١٧/(٢٠١٢٣) عن بنت أبي جهل. وأورد الهيثمي في «المجمع» ٤٤١/٩ عن «الأوسط» للطبراني بلفظ: «خير قرن القرن الذي أنا فيه ..» إلخ.

ورواه البخاري أيضًا برقم (٦٤٢٨)، ومسلم (٢٥٣٥) عن عمران بن حصين ﷺ بلفظ: «خيركم قرني..» الحديث.

ثم اعلم أن جمهور علماء أصول الحديث على أن الرجل بمجرد اللُّقِيِّ ورؤية الصحابي يصير تابعيًا، ولا يشترط أن يصحبه مدةً، ولا أن ينقل عنه روايةً، بخلاف الصحابي فإن بعض الفقهاء شرطوا في كونه صحابيًا طولَ الصحبة، أو المرافقة في الغزوة، أو الموافقة في الرواية. انتهى ملخصًا.

(ثم ذكر اللكنوي بعد ذلك نص السيوطي من تبييض الصحيفة في تأليف أبي معشر جزءً، وفتيا الولي العراقي وابن حجر، وقد أوردتها فيما سبق، فلذا حذفتها من هنا).

وفي «شرح شرح نخبة الفكر» لعلي القاري عند قول ابن حجر في تعريف الصحابي: هو من لقي الصحابي: هذا هو المختار، قال العراقي: وعليه عمل الأكثرين، وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى الصحابي والتابعي بقوله: «طوبى لمن رآني ولمن رأى من رآني» فاكتفى فيهما بمجرد الرؤية. قلت: وبه يندرج الإمام الأعظم في سِلك التابعين، فإنه قد رأى أنسًا وغيره من الصحابة على ما ذكره الشيخ الجزري في «أسماء رجال القراء»، والتوربشتي في «تحفة المسترشدين»، وصاحب «كشف الكشاف» في سورة المؤمنين (هو: سراج الدين عمر بن رسلان البُلقيني)، وصاحب «مرآة الجنان»، وغيرهم من العلماء المتبَحِّرين، فمن نفى أنه تابعي، فإما من التتبع القاصر، أو التعصب الفاتر، انتهى[1].

وقد نقله عنه محمد أكرم بن عبد الرحمن في «إمعان النظر في توضيح نخبة الفكر»، وأقرَّه.

---

[1] «شرح شرح نخبة الفكر» للقاري (ص: ٥٩٦).

وفي «العلل المتناهية في الأحاديث الواهية» لابن الجوزي في باب الكفالة برزق المتفقه: قال الدارقطني: أبو حنيفة لم يسمع من أحد من الصحابة، وإنما رأى أنس بن مالك بعينه. انتهى[٢].

فهولاء العلماء الثقات: الدارقطني، وابن سعد، والخطيب، والذهبي، وابن حجر، والولي العراقي، والسيوطي، وعلي القاري، وأكرم السندي، وأبو معشر، وحمزة السهمي، واليافعي، والجزري، والتوربشتي، وابن الجوزي، والسراج صاحب «كشف الكشاف» قد نصُّوا على كون الإمام أبي حنيفة تابعيًّا، وإنما أنكر من أنكر منهم روايته عن الصحابة، وقد صرح به جمعٌ آخرون من المحدثين والمؤرخين المعتبرين أيضًا، تركت عباراتهم خوفًا من الإطالة الموجبة للملالة، وما نقلته إنما نقلته بعد مطالعة الكتب المذكورة، لا بمجرد اعتماد نقل غيري، ومن راجع الكتب المذكورة يجد صدق نقلي.

وأما كلمات فقهائنا في هذا الباب فأكثر من أن تُحْصَى. ومن أنكر كونَه تابعيًا من المؤرخين لا يصل إلى في الاعتماد وقوة الحفظ وسعة النظر إلى مرتبة هؤلاء الْمُثبِتِيْن، فلا عِبرةَ بقوله معارضًا لقولهم. وهذا الذهبي شيخ الإسلام المعتمد في نقله عند الأنام لو صرح وحده بكونه تابعيًا لكفى قوله رادًّا لقول النافين، فكيف، وقد وافقه إمام الحفاظ ابن حجر، ورأس الثقات الولي العراقي، وخاتمة الحفاظ السيوطي، وعَمود المؤرخين اليافعي، وغيرهم ؟. وسبقه إلى ذلك الخطيب، وما أدراك ما الخطيب! والدارقطني، وما أدراك ما الدارقطني! إمامان جليلان،

---

[٢] «العلل المتناهية في الأحاديث الواهية» ١/١٢٨.

مستندان، معتمدان، وغيرهما. فإذن لم يبق للمنكِرِ إلا أن يُكَذِّبَ هؤلاء الثقات، فإن وقع منه ذلك فلا كلام معه، أو يُقدِّمَ أقوال من دونهم على أقوالهم، فإن فعل ذلك لزم ترجيح المرجوح. والمرجوُّ من العلماء المنصفين بعد مطالعة هذه النصوص أن لا يبقى لهم إنكار. انتهى كلام الإمام اللكنوي رحمه الله تعالى.

☆ وقال الشيخ محمد حسن السنبلي في الباب الثاني من «مقدمة تنسيق النظام» (ص:٩): اعلم أنه قد عَدَّ بعضُ العلماء من أدركهم الإمام من الصحابة بالسن، وهم: أنس بن مالك، وأسعد بن سهل بن حنيف أبو أمامة، وبُسر بن أرطاة القرشي، والسائب بن يزيد الكندي آخر من مات بالمدينة من الصحابة، وسهل بن سعد الساعدي، وصُدَيٌّ بن عجلان أبو أمامة الباهلي، وطارق بن شهاب البجلي، وعبد الله بن أبي أوفى، وعبد الله ابن بُسر، وعبد الله بن ثعلبة، وعبد الله بن الحارث بن نوفل أبو محمد، وعبد الله الحارث بن جزء أبو الحارث، وعتبة بن عبد السلمي، وعامر بن واثلة أبو الطفيل، وعمرو بن أبي سلمة، وعمرو بن حريث القرشي المخزومي، وقبيصة بن ذويب، ومالك بن حويرث، ومحمود بن لبيد، ومقدام بن معديكرب، ومالك بن أوس، وواثلة بن الأسقع.

ونقل عن أسماء رجال المشكاة أن عمرو بن حريث القرشي نزل الكوفة وسكنها وولي إمارة الكوفة، ومات بها سنة خمس وثمانين. انتهى.

ثم اعلم أن آخر من مات من الصحابة في الدنيا عامر بن واثلة أبو الطفيل الليثي، قال في «التقريب»: وعُمِّر إلى أن مات سنة عشر ومأة على الصحيح وهو آخر من مات من الصحابة، قاله مسلم وغيره فعلى هذا عمر الإمام وقت وفاته ثلاثون سنة، ومن المستبعد غاية البعد من أمثال

الإمام أن لا يلقاه وهو في هذا العمر في سن الوقوف من الشباب ولا يرحل إليه لنيل هذه النعمة العظمى من التابعية وسماع الأحاديث بواسطة واحدة هو الصحابي، كيف ؟ وقد قال في «الدر المختار» وغيره أنه حجِ خمسًا وخمسين حجةً فثبت أنه حج خمس عشرة حجةً في أيام أبي الطفيل الصحابي الذي كان بمكة المعظمة ومات بها سنة عشر ومأة، لأن عمر الإمام سبعون من الثمانين إلى مأة وخمسين، فيكون بدء الحج له من عمر خمس عشرة سنة، ويتم خمس عشرة حجة إلى الثلاثين، فكيف يتصور أن لا يلقاه في هذه الحجج الكثيرة في عين مكة.

قال: وأثبت العيني سماعه لجماعة من الصحابة، ورد عليه الشيخ الحافظ قاسم الحنفي، وقيل: إنه أدرك بالسن سبعين عشرين صحابيًا وإن لم يلق كلهم. قال الخوارزمي في «مسند الإمام»: اتفق العلماء على أنه روى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة أو سبعة أو ثمانية على اختلاف الروايات. وقال الشامي في الجواب من قِبل العيني عن رد الحافظ قاسم الحنفي: لكن يؤيد ما قاله العيني قاعدة المحدثين أن راوي الاتصال مقدم على راوي الإرسال والانقطاع، لأن معه زيادة علم، فاحفظ ذلك فإنه مهم.

قال الشيخ السنبلي: اعلم أن ههنا مقامين: الأول مقام رؤيته لبعض الصحابة وعليه مدار التابعية عند المحققين وهو مختار الجمهور من أرباب أصول الحديث كما يشير إليه عبارة النخبة وشرحها وغيرهما، وهذا الأمر ثابت بلا مرية، وقد نقل محمد طاهر[1] وغيره عن الدارقطني

---

[1] هو: الفتني الغجراتي الهندي، صاحب «مجمع بحار الأنوار».

وأمثاله رؤية الإمام لأنس بن مالك رضي الله عنه، ولا حاجة إلى التطويل في هذا الباب فإن الكلام فيه كلام بعد ثبوته ووضوحه وظهوره كالشمس. والثاني مقام روايته عن بعض الصحابة وهو أيضًا عند أرباب الانصاف بوجوه: الأول ما نقلنا عن «مسند الخوارزمي» من اتفاق العلماء على روايته عن سبعة أو ستة أو خمسة مع امرأة، والاختلاف إنما هو في العدد، ولعل مراده بالاتفاق اتفاق الحنفية من أرباب التحديث، وإلا فالاختلاف ظاهر. والثاني: تأليف أبي معشر الشافعي جزءًا في مروياته عن الصحابة من غير قدح. والثالث: أن غاية ما يقال فيه: إن إسنادها لا يخلو عن ضعف كما ذكره ابن حجر الهيتمي، لكن الضعاف مقبولة في فضائل الأعمال ومناقب الرجال على ما صرحوا به. والرابع: إثبات العيني سماعَه من الصحابة. والخامس: أن أصحاب الإمام أثبتوا سماعه وروايته حتى بلغ مسنداته خمسين حديثًا، وقد اعترف بذلك الكردري، ومحمد طاهر، والشيخ عبد الحق وغيرهم، ولا ريب أن أصحابه ثقات أثبات، بل حفاظ متقنون وأئمة مجتهدون، ولهم في هذا الباب رجحان على سائر المحدثين، فإن صاحب البيت أدرى بما فيه.

ولهذا وجوه أخر أيضًا قوية اقتصرنا ههنا على هذا القدر لكفايته. انتهى من كلام الشيخ محمد حسن السنبلي في مقدمة «تنسيق النظام في شرح مسند الإمام».

وصلى الله على النبي الكريم، والحمد لله أولًا وآخرًا.

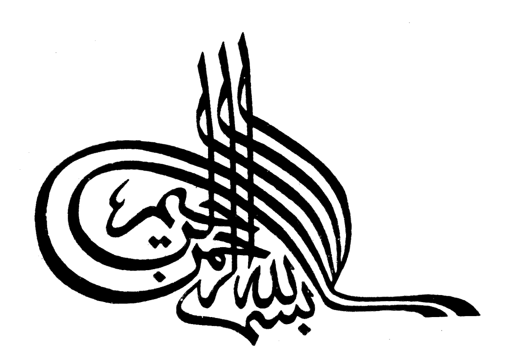
تمت

ذِكْرُ الإِمَامِ الأَعْظَمْ
أَبِيْ حَنِيْفَةَ رضي الله عنه

من مقدمة «أوجز المسالك»

للشيخ محمد زكريا الكاندهلوي رحمه الله

وهو يشتمل على تسع فوائد


بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الفائدة الأولى

في ترجمته:

اختلف في نسب الإمام على أقوال؛ فقيل: عربي، وقيل: عجمي، والصواب الثاني، فمن قال: إنه عربي، نسبه هكذا: نعمان بن ثابت بن زوطى بن يحيى بن زيد بن أسد بن راشد الأنصاري.

وقال أحمد ابن حجر المكي: اختلفوا في نسبه، فقال أكثرهم - وصحَّحَه المحققون -: إنه من العجم، ابن ثابت بن زوطى - بالضم كموسى، أو بالفتح كسلمى - ابن ماه، من أهل كابل[1]، هكذا نسبه عمر بن حماد ولد الإمام.

وقال أخوه إسماعيل بن حماد: هو ابن ثابت بن النعمان بن المرزبان - بفتح فسكون فضم زاي، وقد يفتح، معرب - الرئيس من أبناء فارس الأحرار، والله ما وقع لنا رِقٌّ قط[2].

---

[1] «كابل» بضم الموحدة: بلدة من إقليم بناحية الهند كما في «الخيرات الحسان» (ص: ٤١). قلت: وذلك الإقليم مسمى بـ«أفغانستان» بجوار الهند.

[2] قلت: قال ابن حجر الهيتمي في «الخيرات» (ص: ٤٢): تخالف الأخوين في أن والد ثابت: النعمان أو زوطى، وجده المرزبان أو ماه. أجيب عنه بأنه يحتمل أن يكون لكل اسمان، أو اسم ولقب، أو معنى زوطى النعمان، والمرزبان ماه.
قال: وقيل في نسبه: ثابت بن طاوس بن هرمز ملك بني ساسان. وقيل: ☜

وجُمِعَ بين القولين بأن زوطى اسم جاهلي، ونعمان اسم إسلامي، وكذا جُمِعَ بين ماه ومرزبان بأن كليهما في معنى الرئيس ألقاب، وبسط في «الجواهر المضيئة» نسبه وبلغ إلى آدم عليه الصلاة والسلام، فَارجِعْ إليه لو شِئْتَ[1].

وُلِدَ ثابت - والد الإمام رضي الله عنه - بالكوفة، وذهب به أبوه إلى علي - كَرَّمَ اللهُ وَجْهَه - صغيرًا، فدعا له بالبركة فيه وفي ذريته، ووُلِدَ الإمام - رضي الله عنه - سنةَ ثمانين بالكوفة في خلافة عبد الملك بن مروان، وقيل: سنة إحدى وستين[2] كما في «الخيرات».

وفيه أيضًا: اتفقوا على أن اسمه النعمان وفيه سِرٌّ لطيف، إذ أصل النعمان: الدم الذي به قوام البدن، ومن ثم ذهب بعضهم إلى أنه الروح، فأبو حنيفة رضي الله عنه به قوام الفقه، أو نبت أحمر طيب

☜ إنه عربي فزوطى من بني يحيى بن زيد بن أسد. وفي نسخة: «ابن راشد الأنصاري»، وردَّ. وقد رَجَّحَ جَماعةٌ من أصحاب المناقب ما مرَّ عن حفيديه، فإنهما أعرف بنسب جدهما.

[1] انظر «الجواهر المضيئة» ١/٥١ للإمام عبد القادر القرشي الحنفي.

[2] وانظر ما علقت على «جزء ماقال المحدثون» من كلام العلامة زاهد الكوثري رحمه الله، وحاصله أن الراجح بما ذكر من الأسباب هناك أن ميلاده قبل سنة ثمانين، ولعل الأرجح في ميلاده هو سنة سبعين. والله سبحانه وتعالى أعلم. اهـ. فيتم أنه تابعي على التقديرين.

الريح الشقيق، أو الأرجوان، فأبو حنيفة طابتْ خلاله، وبلغ الغاية كماله، أو فعلان من النعمة، فأبو حنيفة نعمة الله على الخلق.

واتفقوا على أن كنيته أبو حنيفة مؤنث حنيفٍ، رهو الناسك أو المسلم، والأوجه في تكنيته أنه رأس الفروع والشرائع في الملة الحنيفية البيضاء. وقيل: سبب تكنيته بذلك ملازمته للدواة المسماة حنيفة بلُغَةِ العراق. وقيل: كانت له بنت، تسمى بذلك، ورُدَّ بأنه لا يُعلَم له ولدٌ ذكر ولا أنثى غير حماد، انتهى مختصرًا.

وأما حليته: فقال أبو يوسف رحمه الله: كان رَبعةً من أحسن الناس صورةً، وأبلغهم نطقًا، وأكملهم إيرادًا، وأحلاهم نغمةً، وأبينهم حجةً.

وقال حماد ولده: كان طويلاً يعلوه سمرة، جميلاً حسن الوجه، هيوبًا لا يتكلم إلا جوابًا. ولا يخوض فيما لا يعنيه.

ولا تنافي بين كونه ربعةً وبين كونه طويلاً، لأنه قد يكون مع الربعة أقرب إلى الطول، كما بسطه شراح «شمائل الترمذي».

وقال ابن المبارك: كان حسن الوجه، حسن الثياب[1].

وكان رضي الله عنه حسن الهيئة، كثير التعطر، يعرف بالريح الطيبة قبل أن يُرَى، كان يتعهد شسعه لا يُرَى منقطع الشسع، وكان يلبس قلنسوةً طويلةً سوداءَ، وكان له لباس جبة

---

[1] «الخيرات الحسان» ص: ٤٦.

فنك، وجبة سنجاب ثعلب، يصلي فيها، ورداء عليه عَلَمٌ، وسبع قلانس إحداهن سوداء.

وقال شريك: كان رضي الله عنه طويل الصمت، كثير العقل، قليل المجادلة للناس، قَليل المحادثة لهم.

وقال ضميرة: لم يختلف الناس أنه رضي الله عنه كان مستقيم اللسان لا يذكر أحدًا بسُوءٍ.

وقال بكير بن معروف: ما رأيت رجلاً أحسن سيرةً في أمة محمد صلى الله عليه وسلم من أبي حنيفة.

وحكى السيوطي عن جعفر بن الربيع قال: أقمت عنده خمس سنين فما رأيت أطول صمتًا منه، فإذا سئل عن الفقه نفح وسال كالوادي، وسمعتُ له دويًا وجهارةً بالكلام[1].

وأراد رضي الله عنه التجردَ والانقطاعَ عن الناس فمُنِعَ عن ذلك في المنام من حضرة الرسالة، وأُمِرَ بتبليغ الشرائع، ورؤياه في ذلك شهيرة.

وحكى الموفق عن النضر بن محمد: ما رأيت أشدَّ ورعًا منه، ما كان يحسن الهزل، ولا يتكلم به، ولا رأيتُ مستجمعًا ضحكًا، ولكنه كان يتبسم.

وأما وفاته رضي الله عنه وسبب وفاته؛ فقال ابن حجر: إن المنصور طلبه للقضاء وأن يكون قضاة بلاد الإسلام من تحت

---

[1] «تبييض الصحيفة» (ص ١٠٩) عن «تأريخ بغداد» ٣٤٧/١٣.

أمره، فامتنع، فحلف وغَلَّظَ إن لم يَفْعَلْ ليحبسنَّه وليشَدِّدَنَّ عليه، فامتنع، فحبسه، وكان يرسل له إنْ أحببتَ الخلاصَ فاقْبَلْ، فيمتنع، ولما شدَّد الامتناعَ أمر أن يخرج كل يوم فيُضرَبَ عشرةَ أسواطٍ، ويُنادى عليه في الأسواق، فأُخرِجَ وضُرِبَ ضربًا مُوجعًا حتى سال عنه الدمُ على عقبيه، ثم أعيد إلى الحبس وضُيِّقَ عليه تضييقًا شديدًا، حتى في مأكله ومشربه، ثم فُعِلَ به كذلك في الثاني، والثالث، ثم هكذا إلى عشرة أيام، فبكى، وأَكَّدَ الدعاءَ، فتُوُفِّيَ بعد خمسة أيام.

وروى جماعةٌ أنه رُفِعَ إليه قدحٌ فيه سُمٌّ ليشرب، فامتنع وقال: إني لأعلم ما فيه، ولا أُعِيْنُ على قتل نفسي، فطرح، ثم صُبَّ في فيه قهرًا، فمات، وقيل: كان ذلك بحضرة المنصور، وصحَّ أنه لما أحس بالموت سجد، فخرجت نفسه وهو ساجد، وقيل: بالامتناع عن القضاء لا يوجب للمنصور أن يقتله هذه القتلة الشنيعة، وإنما السبب في ذلك أن بعض أعداء أبي حنيفة دَسَّ إلى المنصور أن أبا حنيفة هو الذي أثار عليه إبراهيم بن عبد الله بن الحسين بن علي رضي الله عنه الخارج عليه بالبصرة.

ثم اتفقوا على أنه رضي الله عنه توفي سنة مائة وخمسين عن سبعين سنةً في رجب على المشهور، وقيل: شعبان، وقيل: نصف شوال، ولم يخلف غير حماد.

الفائدة الثانية
في فضله وثناء الناس عليه

وأنت خبير بأن فضائل الأئمة رضي الله عنهم أكثر من أن تحصيها الدفاتر، فضلاً عن هذه الأوراق، سِيِّما الإمام الأعظم رضي الله عنه فقد ألف المشايخُ في شدة اجتهاده في العبادة، وفي خوفه ومراقبته لربه سبحانه وتقدس، وفي حفظ لسانه عما لا يعنيه، وفي كرمه وزهده وورعه وأمانته ووفور عقله وفراسته وعظيم ذكائه، وأجوبته المسكتة عن الأسئلة المبهتة، وحلمه ونحو ذلك، وفي أكله من كسبه، ورده للجوائز، وفي حكمه وآدابه، وفي محنته لما أرادوا توليته الوظائف الجليلة، وغير ذلك أبوابًا طويلةً وأجزاءً مفردةً لا يسعها هذا الموجز، نتركها للاختصار، ونذكر شيئًا من ثناء الناس عليه لِنَتَبَرَّكَ بمناقبه.

قال ابن المبارك: دخل أبو حنيفة على مالك فرفعه، ثم قال بعد خروجه: أ تدرون من هذا ؟ قالوا: لا، قال: هذا أبو حنيفة النعمان، لو قال: هذه الأسطوانة من ذهب لخرجت كما قال، لقد وفق له الفقه حتى ما عليه فيه كثير مؤنة، ثم دخل الثوري فأجلسه دون مجلس أبي حنيفة، فلما خرج ذكر من فقهه وورعه.

وقال الشافعي رضي الله عنه: من أراد أن يتبحر في الفقه فهو عيال أبي حنيفة، إنه ممن وفق له الفقه.

وعنه أيضًا: من لم ينظر في كتبه لم يتبحر في العلم ولا يتفقه.

وقال ابن عيينة: ما رأت عيني مثله، وعنه: من أراد المغازي فالمدينة، أو المناسك فمكة، أو الفقه فالكوفة، ويلزم أصحاب أبي حنيفة.

وقال ابن المبارك: إن احتيج للرأي فرأي مالك وسفيان وأبي حنيفة، وهو أفقههم وأحسنهم وأدقهم فطنةً.

وعنه: قوله عندنا - إذا لم نجد أثرًا - كالأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وعنه: ليس أحدٌ أحق أن يُقتدى به من أبي حنيفة، لأنه كان إمامًا تقيًا ورعًا عالماً فقيهًا، كشف العلم كشفًا لم يكشفه أحد ببصر وفهم وفطنة وتقى.

وقال الثوري لمن قال له: جئتُ من عند أبي حنيفة: لقد جئتَ من عند أفقه أهل الأرض. ولما حجا كان يقدمه ويمشي خلفه، ولا يجيب إذا سُئِلا حتى يكون أبو حنيفة هو الذي يجيب.

وقال الأوزاعي لابن المبارك: من هذا المبتدع الذي خرج بالكوفة يكنى أبا حنيفة ؟ فأراه مسائل نفيسةً من مسائله، فلما رآه منسوبةً للنعمان بن ثابت قال: من هذا ؟ قلت: شيخ لقيتُه بالعراق، قال: هذا نبيل من المشايخ، اذهَبْ فَاستَكثِرْ منه، قلت: هذا أبو حنيفة الذي نهيتَ عنه. ثم لما اجتمع بأبي حنيفة بمكة جاراه في

تلك المسائل، فكشفها أبو حنيفة له بأكثر ما كتبها ابن المبارك عنه، فلما افترقا، قال الأوزاعي لابن المبارك: غبطتُ الرجل بكثرة علمه ووفور عقله، وأستغفر الله تعالى لقد كنتُ في غلط ظاهر، الْزَم الرجلَ فإنه بخلاف ما بلغني عنه.

وقال أحمد بن حنبل في حقه: إنه من أهل الورع والزهد وإيثار الآخرة بمحل لا يدركه أحد.

وقال النضر بن شميل: كان الناس نيامًا عن الفقه حتى أيقظهم أبو حنيفة بما فَتَقَه وبيَّنَه ولَخَّصَه.

وحكى الخطيب عن بعض أئمة الزهد: من أراد أن يخرج من ذُل العمى والجهل، ويجد حلاوةَ الفقه، فلينظر في كتبه.

وقال الحافظ عبد العزيز بن أبي روَّاد: من أحب أبا حنيفة فهو سُنِّيٌّ، ومن أبغضه فهو مبتدع.

وفي رواية: بيننا وبين الناس أبو حنيفة، فمن أحبه وتولاه علمنا أنه من أهل السنة، ومن أبغضه علمنا أنه من أهل البدعة.

وقال إبراهيم بن معاوية الضرير: من تمام السنة حُبُّ أبي حنيفة.

وحكى ابن حجر: ما اشتغل بدعوة الناس إلى مذهبه إلا بالإشارة النبوية في المنام، فيدعوهم إلى مذهبه بعد ما قصد الانزواء والاستخفاء عنهم، تواضعًا واحتقارًا لنفسه، فلما جاءه الإذن ممن فوضت إليه قسمة خزائن الله على مستحقها، علم أن ذلك أمر

حتم لا بد منه، فدعا الناس إليه حتى ظهر مذهبه وانتشر، وكثرت أتباعه وخذلت حُسَّاده، ونفع الله به شرقًا وغربًا وعجمًا وعربًا.

ومن أعظم مناقبه وورعه: تركه لحمَ شاةٍ سبع سنين لفَقْد شاة بالكوفة، وتَصَدُّقُه بجميع مال أتى به وكيله، لِيبيعه ثوبًا معيبًا مخفيًا عيبه، وما أورد عليه بعض المؤرخين من أنه مستبعد، فصدر من قلة معرفتهم بمصادر التقوى، ولا يتعجب من ذلك من عالج المتقين، فإن التقوى أشد من الفتوى.

ومن أشهر مناقبه رضي الله عنه: أنه صلى الفجر بوضوء العشاء أربعين سنةً، فقيل له: ما الذي قَوَّاك على هذا ؟ قال: إني دعوتُ الله بأسمائه على حروف المعجم، وهي مجموعة في كل من آيتين: الأولى ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللهِ ...﴾ إلى آخر سورة الفتح، والثانية ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيكُمْ مِن بَعدِ الْغَمِّ ...﴾ الآية في سورة آل عمران[1]، وأنه كان يختم برمضان ستين ختمةً: ختمةً بالليل وختمةً بالنهار، قاله الغزالي في «الإحياء».

وقال ابن حجر: لما حج الأعمش أرسل إليه ليكتب له المناسك. وكان يقول: اكتبوا المناسك عنه، فإني لا أعلم أحدًا أعلم بفرضها ونفلها منه. فانظر هذه الشهادة له من مثل الأعمش.

---

[1] آل عمران: ١٥٤.

وقال رجل عند وكيع: أخطأ أبو حنيفة، فزجره وكيع، وقال: من يقول هذا كالأنعام، بل هم أضل سبيلاً، كيف يخطئ؟ وعنده أئمة الفقه كأبي يوسف ومحمد، وأئمة الحديث وعَدَّدَهم، وأئمة اللغة العربية، وعددهم، وأئمة الزهد والورع كالفضيل، وداود الطائي، ومن كان أصحابه هؤلاء لم يكن ليخطئ، لأنه إن أخطأ ردُّوه للحق[1].

وروى ابن عبد البر في «كتاب العلم» بسنده عن محمد بن بكر بن داسةْ: سمعت أبا داود السجستاني يقول: رَحِمَ اللهُ مالكًا كان إمامًا، رحم اللهُ الشافعيَّ كان إمامًا، رحم اللهُ أبا حنيفة كان إمامًا[2].

وحكى الموفق عن أبي يحيى الحِمَّاني: ما رأيت رجلاً قط خيراً من أبي حنيفة. وعن ابن عيينة يقول: ما مقلت عينيَّ مثل أبي حنيفة.

وقال خلف بن أيوب: صار العلم من الله تعالى إلى محمد صلى الله عليه وسلم، ثم منه إلى أصحابه، ثم منه إلى التابعين، ثم صار إلى أبي حينفة وأصحابه، فمن شاء فليرض، ومن شاء فليسخط.

وقال ابن المبارك للثوري: ما أبعدَ أبا حنيفة من الغيبة!، ما سمعته قط يغتاب عدوًا له قط. قال: والله هو أعقل من أن يسلط على حسناته ما يذهب بها[1].

---

(1) «الخيرات الحسان» (ص ٧٢).

(2) «جامع بيان العلم وفضله» ٢/١٦٣.

وحكي عن ابن عيينة سمعت شقيق بن عتيبة يقول: ما مقلت عيني مثل أبي حنيفة[٢].

وحكى الموفق عن الزرنجري: أنه رضي الله عنه يجتهد حتى يأخذ بأقوال أبي بكر رضي الله عنه وأفعاله وخصاله، لأن الصديق رضي الله عنه كان أفضلَ الصحابة، وأعلمَهم، وأفقهَهم، وأورعَهم، وأتقاهم، وأعبدَهم، وأزهدَهم، وأسخاهم، وأجودَهم، فكذلك كان أبو حنيفة رضي الله عنه أعلمَ التابعين، وأفقهَهم، وأتقاهم، وأروعَهم، وأعبدَهم، وأزهدَهم، وأسخاهم، وأجودَهم، حتى إنه كان للصديق رضي الله عنه حانوتٌ[٣] بمكة يبيع البزَّ فيه، فكان رحمه الله يتبعه فيه، فاتخذ حانوتًا بالكوفة يبيع البزَّ فيه.

ونختم هذه الفائدة بما ورد من تبشير النبي ﷺ بالأئمة، فقد أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة، وأبو نُعيم عنه، والشيرازي والطبراني عن قيس بن سعد بن عبادة، والطبراني عن ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لو كان العلم عند الثريا لتناوله رجالٌ من أبناء فارس»[٤].

---

(١) «تأريخ بغداد» للخطيب ١٣/٣٦١.

(٢) المصدر السابق ١٣/٣٣٦، وهو فيه من قول ابن عيينة.

(٣) أي: دُكَّانٌ.

(٤) قلت: أخرج البخاري في «صحيحه» (٤٨٩٧) ومسلم في باب فضل «فارس (٢٣١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه «.. وضع رسول الله ﷺ ⟵

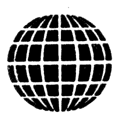
قال السيوطي: هذا أصل صحيح يعتمد عليه في البشارة بأبي حنيفة رحمه الله[1]، وهو نظير الحديث الذي في مالك، وهو

يدَه على سلمان الفارسي، ثم قال: «لو كان الإيمان عند الثريا، لناله رجال - أو رجل - من هؤلاء». وروى مسلم أيضًا (٢٣٠) بلفظ: «لَوْ كَانَ الدِّينُ عِنْدَ الثُّرَيَّا، لَذَهَبَ بِهِ رَجُلٌ مِنْ فَارِسَ - أَوْ قَالَ مِنْ أَبْنَاءِ فَارِسَ - حَتَّى يَتَنَاوَلَه». ورواه عنه أبو نعيم في «حلية الأولياء» ٦/٦٤ بلفظ: «لَوْ كَانَ الْعِلْمُ مَنُوطًا بِالثُّرَيَّا لَتَنَاوَلَهُ رِجَالٌ مِنْ أَبْنَاءِ فَارِسٍ». وروى الطبراني في «المعجم الكبير» ١٠/ ٢٠٤ (١٠٤٧٠) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا: «لَوْ كَانَ الدِّينُ مُعَلَّقًا بِالثُّرَيَّا لَتَنَاوَلَهُ نَاسٌ مِنْ أَبْنَاءِ فَارِسَ». قال الهيثمي في المجمع ١٠/٦٥: وفيه محمد بن الحجاج اللخمي وهو كذَّاب.

وروى أيضًا فيه ١٨/٣٥٣ (٩٠٠) عَنْ قَيْسِ بْنِ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَو كَانَ الْإِيمَانُ مُعَلَّقًا بِالثُّرَيَّا لَنَالَهُ رِجَالٌ مِنْ فَارِسٍ». قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» ١٠/٦٤: رواه أبو يعلى والبزار والطبراني، ورجالهم رجال الصحيح.

[1] قال بعض تلامذة السيوطي: ما جزم به شيخنا من أن الإمام أبا حنيفة هو المراد من هذا الحديث ظاهر لا شك فيه، لأنه لم يبلغ أحد - أي في زمنه - من أبناء فارس في العلم مبلغه ولا مبلغ أصحابه. قال ابن حجر: وفيه معجزة ظاهرة للنبي صلى الله عليه وسلم حيث أخبر بما سيقع، وليس المراد بفارس البلد المعروف، بل جنس من العجم وهم الفرس، والإمام أبو حنيفة منهم على ما عليه الأكثرون. وفي خبر عن الديلمي: «خير العجم فارس». قال السيوطي: وبهذا الخبر أي: المتفق على صحته يستغنى عن الخبر الموضوع في حق أبي حنيفة رحمه الله. قال تلميذه المذكور: أشار شيخنا بهذا إلى رد ما ذكره بعض أصحاب المناقب ممن ليس له دراية بعلم الحديث، فإن في سنده كذابين وضاعين.

قوله صلى عليه السلام: «يوشك أن يضرب الناس أكباد الإبل يطلبون العلم، فلا يجدون أعلم من عالم المدينة»[١]، والحديث الذي جاء في الشافعي رضي الله عنه: «لا تسبوا قريشًا فإن عالمها يملأ الأرض علمًا»[٢]، وهو حديث حسن له طرق.



ولفظ خبرهم: «يكون في أمتي رجل يقال له أبو حنيفة النعمان، هو سراج أمتي إلى يوم القيامة». قال ابن حجر: ومن اطلع على ما يأتي في الكتاب من أحوال الإمام أبي حنيفة وكراماته وأخلاقه وسيرته علم أنه غني عن أن يستشهد على فضله بخبر موضوع أو لفظ موضوع، لا سيما مع ما تقرر من حديث البخاري ومسلم وغيرهما المحمول على أبي حنيفة كنظرائه من العجم وكمن هو أعلى منه وأجل كسلمان الفارسي. ومما يصلح على عظم شأن أبي حنيفة رحمه الله ما روي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ترفع زينة الدنيا سنة خمسين ومائة». ومن ثم قال شمس الأئمة الكَردري: إن هذا الحديث محمول على أبي حنيفة، لأنه مات تلك السنة، رحمة الله عليه. انظر «الخيرات الحسان» (٢٩ - ٣٢)، و«تبييض الصحيفة» (٦ - ٧).

[١] أخرجه الترمذي في أبواب العلم من «جامعه» (٢٦٨٠) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه.

[٢] أخرجه أبو داود الطيالسي في «مسنده» (٣٠٧)، والبيهقي في «معرفة السنن والآثار» (٤١٣) عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه.

الفائدة الثالثة
في تابعية الإمام

وهو من المسائل المختلفة الشهيرة، فمِن مثبتٍ له ونافٍ، وتفصيله يقتضي البسط في الكلام، وليس هذا محله، والحق الذي يرشد إليه ملاحظة كتب الرجال والتواريخ والأصول أن التابعي عند أهل الفن على نوعين: باعتبار الرؤية، وباعتبار الرواية، والمختلف فيه عند المؤرخين هو الثاني، وأما الأول فجمهور أهل الرجال على ثبوته.

قال ابن حجر المكي الشافعي رحمه الله: [صحَّ[١]] كما قاله الذهبي: إنه رأى أنس بن مالك وهو صغير، وفي رواية: رأيته مرارًا، وكان يخضب بالحمرة.

وفي «فتاوى شيخ الإسلام ابن حجر»: أنه أدرك جماعةً من الصحابة كانوا بالكوفة، فهو من طبقة التابعين، ولم يثبت ذلك لأحد من أئمة الأمصار المعاصرين له: كالأوزاعي بالشام، والحمادين بالبصرة، والثوري بالكوفة، ومالك بالمدينة، والليث بن سعد بمصر، فهو من أعيان التابعين الذين شملهم قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ الآية[٢]. وذكر

---

[١] ما بين المعكوفين ساقط من «مقدمة الأوجز»، وأثبتُّه من «الخيرات الحسان».

[٢] سورة التوبة: الآية ١٠٠.

جماعةٌ ممن صنف في المناقب وغيرهم أنه سمع أيضًا من جماعة من الصحابة غير أنس، منهم: أبو الطفيل عامر بن واثلة المتوفى سنة ١٠٢هـ[1] بمكة، وقد حج أبو حنيفة مع أبيه سنة ست وتسعين، فلقاؤه معه مما لا ينكر.

ومنهم: سهل بن سعد المتوفى سنة ٨٨ هـ وقيل: بعدها.

ومنهم: السائب بن الخلاد المتوفى سنة ٩١ هـ.

ومنهم: السائب بن يزيد المتوفى سنة ٩١ هـ.

ومنهم عبد الله بن بسرة المتوفى سنة ٩٦ هـ.

ومنهم: محمود بن الربيع المتوفى سنة ٩٦ هـ وغيرهم، عدَّهم أهل التأريخ.

وحكى ابن حجر أيضًا عن بعض متأخري المحدثين ما حاصله: جزم خلائق من أئمة الحديث أنه لم يسمع من أحد من الصحابة شيئًا، وأما رؤيته لأنس وإدراكه لجماعة من الصحابة بالسن، فصحيحان لا شك فيهما، كذا في «الخيرات».[2]

قال القاري في الرد على القفال: فإنه من بين الأئمة المجتهدين مختص بكونه من التابعين دون غيره باتفاق العلماء المعتبرين، وعدَّه القسطلاني في «شرح البخاري» في بيان المذاهب

---

[1] قلت: وفي «تقريب التهذيب»: مات سنة عشر ومأة على الصحيح.

[2] (ص: ٥٤).

في جملة التابعين كثيرًا. وقال اليافعي: كان أدرك أربعةً من الصحابة وهم أنس بالصرة، وعبد الله بن أبي أوفى بالكوفة، وسهل بالمدينة، وأبو الطفيل بمكة، رضي الله عنهم.

وقال القاري في «طبقات الحنفية»: قد ثبت رؤيته بعضَ الصحابة، واختلف في روايته عنهم والمعتمد ثبوتها كما بينته في «شرح مسند الإمام»[1].

قلت: وكذا أثبت الروايةَ العينيُّ شارحُ البخاري.

---

[1] قلت: قال القاري في «شرح مسند أبي حنيفة» (ص ٨ – ٩): اعلم أن له مشايخ كثيرة من الصحابة والتابعين وأتباعهم وصلتْ جملتُهم أربعة آلاف كما قال بعض أرباب الانصاف في باب الاعتراف.

غدا مذهب النعمان خير المذاهب ... فذا القمر الوضّاح خير الكواكب
ثلاثة آلاف وألف شيوخه ... وأصحابه مثل النجوم الثواقب.

فإن قلت: مشايخ البخاري ربما بلغ عشرة آلاف فلا تفاضل.

قلت: ليس من يُروَى عنه الحديث كمن يُروَى عنه الفقه، فإن الذي يُروَى عنه الفقه لا بد أن يكون فقيهاً عالماً، والذي يُروَى عنه الحديث لا يلزم أن يكون بهذه الصفة حتى كثر رواة الحديث وقل الفقهاء. والحاصل أن أكثر مشايخ الإمام كانوا جامعين بين الرواية والدراية، وأكثر مشايخ البخاري بارز بعلو الإسناد في الرواية، وقد أشار صلى الله عليه وسلم إلى الأحسن في الوعاية حيث قال: «نضَّر الله امرءًا سَمِعَ مَقَالَتِي فوَعَاها وأدَّاهَا كَمَا سَمِعَهَا. فرُبَّ حَامِلِ فِقهٍ غَير فَقِيهٍ، ورُبَّ حَامِلِ فِقهٍ إلى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ»، رواه الترمذي وغيره عن زيد بن ثابت.

وقال ابن حجر: أما رؤيته لأنس وإدراكه لجماعة من الصحابة بالسِنّ فصحيحان لا شكَّ فيهما. وأثبت العينيُّ سماعَه من الصحابة، ورَدَّ عليه الشيخ قاسم الحنفي. وقاعدة المحدثين أن راوي الاتصال مقدم على راوي الإرسال والانقطاع لأن معه زيادةَ علم، تؤيد ما قاله العيني، فَاحفَظْ ذلك فإنه مُهمٌّ، انتهى مختصرًا[١].

وقال العراقي: ويندرج الإمام الأعظم في سِلك التابعين، فإنه قد رأى أنسًا وغيره من الصحابة على ما ذكره الشيخ الجزري في «رجال القراء»، والتوربشتي في «تحفة المسترشد»، وصاحب «كشف الكشاف» في سورة المؤمنين، وصاحب «مرآة الجنان» وغيرهم من العلماء المُتَبَحِّرِين، فمن نفى أنه تابعي فإما من التتبع القاصر، أو التعصب الفاتر.

وقال صاحب «الغرائب»: فأثبت تابعيةَ الإمام الثقاتُ المعتمدون: الدارقطني، وابن سعد، والخطيب، والذهبي، والحافظ ابن حجر، وولي الدين العراقي، والسيوطي، والقاري، والأكرم السندهي، وأبو معشر، وحمزة السهمي، واليافعي، والجزري، والتوربشتي، وابن الجوزي، والسراج صاحب «كشف الكشاف» وغيرهم.

---

(١) «الخيرات الحسان» (ص ٥٥).

وأثبت تابعية الإمامِ الشيخُ عبد الرشيد النعماني في رسالته الهندية المسماة بـ«ابن ماجهْ اور علم حديث»[١].

الفائدة الرابعة
في علو مرتبته في الحديث

ولم تكن الحاجة إلى هذه الفائدة لأن الإمام رضي الله عنه مجتهدٌ إجماعًا، بل من أكابر المجتهدين، لم ينكر ذلك أحدٌ سلفًا ولا خلفًا، والرجل لا يكون مجتهدًا إلا بعد أن يكون ماهرًا بالقرآن الكريم، والحديث الشريف، والآثار، والتأريخ، واللغة، والقياس كما صرح به أئمة الأصول قديمًا وحديثًا، وبعد ذلك فإن إنكار إمامة الإمام في الحديث ليس إلا سفسطة.

ومع هذا استحسنَّا أن نذكر شيئًا من تصريحات أهل الفن في ذلك، فقال ابن المبارك: كان رضي الله عنه والله شديد الأخذ للعلم، ذابًّا عن المحارم، متَّبعًا لأهل بلده، لا يستحل أن يأخذ إلا ما صحَّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، شديد المعرفة بناسخ الحديث ومنسوخه، وكان يطلب أحاديث الثقات، والآخِر من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما أدرك عليه علماء أهل الكوفة

---

[١] (ص ١١٦ – ١١٧). وانظر أيضًا «مقدمة إعلاء السنن» ٢/٤.

في اتباع الحق أخذ به، وجعله دينه؛ وقد شنَّع عليه قومٌ فسكتنا عنهم بما نستغفر الله تعالى منه.

وقال مكي بن إبراهيم: كان أبو حنيفة رضي الله عنه أعلم أهل زمانه.

قلت: وتقدم[١] معنى العالم عند أهل الحديث: الذي يحفظ الإسناد والمتون.

وقال له المنصور: عمن أخذتَ العلم ؟ قال: عن أصحاب عمر عن عمر رضي الله عنهم، وعن أصحاب علي عن علي رضي الله عنهم، وعن أصحاب ابن مسعود عن ابن مسعود رضي الله عنهم، فقال له المنصور: لقد استوثقت.

وحكاه السيوطي وزاد بعد قوله: وأصحاب عبد الله عن عبد الله، وما كان في وقت ابن عباس على وجه الأرض أعلم منه، قال: لقد استوثقت لنفسك.

قال ابن حجر: احذر أن تتوهم أن أبا حنيفة لم يكن له خبرة تامة بغير الفقه، حاشا لله، كان في العلوم الشرعية من التفسير والحديث والعلوم الآلية الأدبية وغيرها، والمقاييس الحكمية بحرًا لا يجارى، وإمامًا لا يمارى، وقول بعض أعدائه فيه خلاف ذلك، منشأه الحسد، وحجته الترفع على الأقران، ورميهم بالزور.

---

[١] أي في الباب الأول من مقدمة الأوجز (ص ٦٠).

وقال أبو يوسف: ما رأيت أعلم بتفسير الحديث منه، وكان أبصر بالحديث الصحيح مني.

وفي «جامع الترمذي» عنه: ما رأيت أكذب من جابر الجعفي، ولا أفضل من عطاء بن أبي رباح[1].

وروى البيهقي عنه أنه سئل عن الأخذ عن سفيان الثوري، فقال: اكتب عنه فإنه ثقة، ما عدا أحاديث أبي إسحاق عن جابر الجعفي.

وروى الخطيب عن سفيان بن عيينة أنه قال: أول من أقعدني للحديث بالكوفة أبو حنيفة، قال: هذا أعلم الناس بحديث عمرو بن دينار، وبهذا يعلم جلالة مرتبته في الحديث أيضًا، كيف؟ وهو يستأمر في الثوري ويُجْلِسُ ابنَ عيينة.

وعن الحسن بن صالح: أن أبا حنيفة رضي الله عنه كان شديد الفحص عن الناسخ والمنسوخ، عارفًا بحديث أهل الكوفة، شديد الاتباع لما كان الناس عليه، حافظًا لما وصل إليه أهل بلده.

وقال يحيى بن آدم: كان النعمان جمع حديث بلده كله، فنظر إلى آخر ما قبض عليه النبي صلى الله عليه وسلم.

وروى الخطيب عن بعض أئمة الزهد أنه قال: يجب على أهل الإسلام أن يدعُوْا لأبي حنيفة في صلاتهم لحفظه عليهم السنةَ

---

[1] قلت: كلام الإمام هذا ليس في «جامع الترمذي»، بل هو في النسخة المصرية من «علله» الملحق في آخر «الجامع».

والفقهَ، وقال: الناس فيه حاسد، وجاهل، وهو أحسنهما عندي.

وقال معمر: ما رأيت رجلاً يحسن أن يتكلم في الفقه، ويسعه أن يقيس، ويشرح الحديث أحسن معرفةً من أبي حنيفة، ولا أشفق على نفسه من أن يدخل في دين الله شيئًا من الشك من أبي حنيفة.

وسئل يحيى بن معين: هل حَدَّثَ سفيان عنه ؟ قال: نعم، كان ثقةً صدوقًا في الفقه والحديث، مأمونًا على دين الله، وسئل أيضًا فقال: ثقة، ما سمعت أحدًا يضَعِّفه، هذا شعبة يكتب له أن يحدث ويأمر، وسبقه.

وقال حماد بن زيد: كنا نأتي عمرو بن دينار، فإذا جاء أبو حنيفة، أقبل عليه، وتَرَكَنا. نسأل أبا حنيفة، فنسأله فيحدثنا.

وروي عن إسرائيل بن يونس: نِعْمَ الرجل النعمان، ما كان أحفظه لكل حديث، فيه فقه، وأشد فحصه عنه، وأعلم بما فيه من الفقه.

وعن أبي يوسف قال: ما خالفته في شيء قط فتدبرته إلا رأيت مذهبه الذي ذهب إليه أنجى في الآخرة، وكنت ربما ملت إلى الحديث، فكان هو أبصر بالحديث الصحيح مني، وقال: كان إذا صمَّم على قول دُرتُ على مشايخ الكوفة هل أجد في تقوية قوله حديثًا أو أثرًا فربما وجدت الحديثين أو الثلاثة، فأتيته بها، فمنها ما يقول فيه: هذا غير صحيح، أو غير معروف، فأقول له: وما علمك بذلك مع أنه يوافق قولك، فيقول: أنا عالم بعلم أهل الكوفة.

وكان عند الأعمش فسئل عن مسائل، فقال لأبي حنيفة: ما تقول فيه ؟ فأجابه، قال: من أين لك هذا ؟ قال: من أحاديثك التي رويتُها عنك. وسرد له عدةَ أحاديث بطرقها، فقال له الأعمش: حسبك ما حدثتك به في مائة يوم تحدثني به في ساعة واحدة، ما علمت أنك تعمل بذه الأحاديث، يا معشر الفقهاء: أنتم الأطباء ونحن الصيادلة، وأنت أيها الرجل! أخذتَ بكلا الطرفين.

وقد خرَّج الحفاظ من أحاديثه مسانيد كثيرةً اتصل بنا كثير منها كما هو مذكور في مسندات مشايخنا، انتهى.

وأثبت أبو المحاسن الدمشقي الشافعي كثرة حديث الإمام، وكونه من أعيان الحفاظ المحدثين، وبوَّب عليهما بابًا مفردًا في «عقود الجمان».

وحكى السيوطي عن الحسن بن سليمان أنه قال في تفسير حديث: «لا تقوم الساعة حتى يظهر العلم»[1]، قال: هو علم أبي حنيفة وتفسيره للآثار.

وحكى عن ابن المبارك يقول:-

---

[1] قلت: روى النسائي في سننه (٤٤٥٦) عن عمرو بن تغلب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن من أشراط الساعة أن يفشو المال ويكثر، وتفشو التجارة، ويظهر العلم ..».

وروى معمر بن راشد عن الحسن مرسلاً بلفظ: «مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يَظْهَرَ الْعِلْمُ ..»، [جامع معمر بن راشد ١١/٣٧٥ الملحق في آخر مصنف عبد الرزاق].

لقد زان البلاد ومن عليها إمام المسلمين أبو حنيفهْ
بآثار وفقه في حديث كآثار الرموز على الصحيفهْ
فما في المَشرقَين له نظير ولا بالمغربَين ولا بكوفهْ
رأيت القامعين له سِفاها خلاف الحق مع حُجج ضعيفهْ

هكذا ذكره السيوطي، وهذه الأبيات بعض القصيدة الطويلة التي حكاها أهل التأريخ عن ابن المبارك، تركنا بقيتها للاختصار.

وقال الشعراني: قد مَنَّ الله عليَّ بمطالعة مسانيد أبي حنيفة الثلاثة من نسخة صحيحة عليها خطوط الحفاظ، فرأيتُه لا يروي حديثًا إلا عن خيار التابعين العدول والثقات، الذين هم من خير القرون: كالأسود، وعلقمة، وعطاء، وعكرمة، ومجاهد، ومكحول، والحسن البصري، وأحزابهم، فكل الرواة الذين بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عدولٌ ثقاتٌ، أعلامٌ خيارٌ، وليس فيهم كذَّاب ولا متَّهم بالكذب.

وسيأتي من كلام ابن خلدون أنه قال: ويدل على أنه من كبار المجتهدين في علم الحديث اعتماد مذهبه في ما بينهم والتعويل عليه، انتهى.

وذكر محمد بن حسين الموصلي في آخر «كتاب الضعفاء»: قال يحيى بن معين: ما رأيت أحدًا أُقدِّمه على وكيع، وكان يفتي برأي أبي حنيفة، وكان يحفظ حديثه كله، وكان قد سمع من أبي

حنيفة حديثًا كثيرًا، وكان من دأبه رضي الله عنه أنه كلما يدخل محدِّثٌ الكوفة يتفحص الحديث الذي عنده.

فقد أخرج الموفق بسنده إلى عبد العزيز بن أبي رِزْمة، وذكر علم أبي حنيفة بالحديث فقال: قدم الكوفة محدث، فقال أبو حنيفة لأصحابه: انظرو هل عنده شيء من الحديث ليس عندنا ؟ قال: وقدم عليهم محدث آخر فقال لأصحابه مثل ذلك.

وفي «جامع أصول الأولياء» في وصايا الإمام لابنه حماد: أنه انتخب خمسة أحاديث من خمس مائة ألف، وهي الأربعة المعروفة التي انتخبها بعده أبو داود، والخامس: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده».

وقال الموفق: انتخب رضي الله عنه الآثارَ من أربعين ألف حديث،

وروي عن يحيى بن نصر: سمعت أبا حنيفة: عندي صناديق من الحديث ما أخرجت منها إلا اليسير الذي ينتفع به.

وقال: الحسن بن زياد: كان أبو حنيفة يروي أربعة آلاف حديث: ألفين لحماد، وألفين لسائر مشايخه.

وقال أبو يوسف: كان أبو حنيفة إذا وردت عليه المسألة، قال: ما عندكم فيها من الآثار ؟ فإذا روينا الآثار وذكر ما عنده، نظر، فإن كانت الآثار في أحد القولين أكثر، أخذ بالأكثر، وإذا تقاربت اختار إلا أنْ يفحش القياس عنده، فيتركه إلى الاستحسان.

وقال وكيع: لقد وُجدَ الورعُ عن أبي حنيفة في الحديث ما لم يُوجَد عن غيره.

وحكى الموفق عن مكي بن إبراهيم البلخي إمام بلخ وشيخ البخاري: أنه دخل الكوفةَ، ولزم أبا حنيفة وسمع منه الحديث والفقه، وأكثر عنه الروايةَ، ويُحِبُّه حبًّا شديدًا، حتى قال إسماعيل بن بشر: كنا في مجلس المكي، فقال: حدثنا أبوحنيفة، فصاح رجل غريب حدِّثنا عن ابن جريج، ولا تحدثنا عن أبي حنيفة، فقال المكي: إنا لا نحدث السفهاء، حَرَّمتُ عليك أن تكتب عني، قم من مجلسي، فلم يحدث حتى أقيم الرجل من مجلسه، ثم قال: حدثنا أبو حنيفة ومرَّ به، وفي رواية: قال الرجل: تبتُ وأخطأت، فأبى أن يحدثهم.

وقال ابن المبارك: غلب أبو حنيفة بالحفظ والفقه والصيانة وشدة الورع.

وعن خلف بن أيوب: كنت أختلف إلى مجالس العلماء، فربما سمعت شيئًا لا أعرف معناه، فيَغُمُّني ذلك، فإذا انصرفتُ إلى مجلس أبي حنيفة سألتُه عما كنت لا أعرفه فيُفسِّر لي ذلك، فدخل في قلبي من بيانه وتفسيره النورُ.

وعن حفص بن غياث سمعت من أبي حنيفة كتبه وآثاره، فما رأيت أزكى قلبًا منه، ولا أعلم بما يفسد ويصح في باب الأحكام منه.

وعن محمد بن سعدان: سمعت مَن حضر يزيد بن هارون، وعنده يحيى بن معين وعلي بن المديني وأحمد بن حنبل وزهير بن حرب وجماعة إذ جاءه مستفتٍ فسأله عن مسألة، فقال له يزيد: اذهب إلى أهل العلم، فقال له ابن المديني: أ ليس أهل العلم والحديث عندك ؟ قال: أهل العلم أصحاب أبي حنيفة، وأنتم صيادلة[1].

الفائدة الخامسة
في قلة روايته للحديث
على الوجه المتعارف بين أهل الفن

قال ابن حجر: مر أنه أخذ عن أربعة آلاف شيخ من أئمة التابعين وغيرهم، ومن ثمة ذكره الذهبي وغيره في طبقات الحفاظ من المحدثين. ومن زعم قلة اعتنائه بالحديث فهو إما لتساهله أو

---

[1] قلت: ذكره خليفةُ بن خياط في «طبقاته» (٣٢٠٣) فيمن نزل بغدادَ وتأَهَّلَ بها من المحدثين، فقال: وأبو حنيفة النعمان بن ثابت، مات بها سنة خمسين ومائة.

وذكره أيضًا الإمام أبو عبد الله الذهبي في رسالته «المعين في طبقات المحدثين» (رقم: ٥٤٦)، قال في أول الرسالة: هذه مُقَدِّمَة في ذكر أَسماء أَعْلام حَمَلَة الْآثار النَّبويَّة تبصر الطَّالِب النبيه وتذكر الْمُحدث الْمُفِيد بمن يقبح بالطلبة أَن يجهلوهم. اهـ.

وقال في «السير» ٣٩٢/٦: وَعُنِيَ بِطَلَبِ الآثَارِ، وَارْتَحَلَ فِي ذَلِكَ. وقال فيه أيضًا: إِنَّ الإِمَامَ أَبَا حَنِيْفَةَ طَلَبَ الحَدِيْثَ، وَأَكْثَرَ مِنْهُ فِي سَنَةِ مائَةٍ وَبَعدَهَا. [رضوان الله البنارسي].

حسده، إذ كيف يتأتى لمن هو كذلك استنباط ما استنبطه من المسائل التي لا تحصى كثرةً، مع أنه أول من استنبط من الأدلة على الوجه المخصوص المعروف، لأجل اشتغاله بهذا الأهم لم يظهر حديثه في الخارج.

كما أن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما لما اشتغلا بمصالح المسلمين العامة، لم يظهر عنهما من رواية الحديث مثل ما ظهر عمن دونهما، حتى صغار الصحابة رضي الله عنهم، وكذلك مالك والشافعي، لم يظهر عنهما مثل ما ظهر عمن تفرغ للرواية، كأبي زرعة، وابن معين، لاشتغالهما بذاك الاستنباط، على أن كثرة الرواية بدون دراية ليس فيه كبير مدح، بل عقد له ابن عبد البر بابًا في ذَمِّه[١]، وقال ابن شُبرمة: أَقِلّ الروايةَ تَفَقَّهْ.

ومن أعذار أبي حنيفة رضي الله عنه أيضًا ما يفيده قوله: لا ينبغي للرجل أن يحدث من الحديث إلا بما حفظه يوم سمعه إلى يوم يحدث به، فهو لا يرى الرواية إلا لمن حفظه.[٢]

قال ابن الصلاح في «مقدمته»: ومن مذاهب التشديد في الرواية مذهب من قال: لا حجة إلا فيما رواه الراوي من حفظه

---

[١] عقد ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» ٢/١٢٠ باب ذكر من ذم الإكثار من الحديث دون التفهم له والتفقه فيه.

[٢] «الخيرات الحسان» (ص ١٤١).

وتذكره، وذلك مروي عن مالك وأبي حنيفة[١].

قلت: ومن قبيل ذلك أن الرجل إذا لم يسمع من الشيخ بعض ألفاظ الرواية وثبتها من المستملي وغيره ينكر روايتَه الإمامُ رضي الله عنه كما بسط في «فتح المغيث»[٢]، وتوسع فيه المحدثون.

وقال ابن خلدون: قد تقوَّل بعض المتعصبين إلى أن منهم من كان قليل البضاعة في الحديث فلهذا قلَّتْ روايته، ولا سبيل إلى هذا المعتقد في كبار الأئمة.

ثم قال بعد الكلام في ردِّهم: والإمام أبو حنيفة إنما قلَّتْ روايته لما شدَّدَ في شروط الرواية والتحمل، وضَعَّفَ رواية الحديث اليقيني إذا عارضها الفعل النفسي، فقلَّتْ من أجلها روايته، فقلَّ حديثه، لا أنه ترك رواية الحديث متعمدًا، فحاشاه من ذلك.

ويدل على أنه من كبار المجتهدين في علم الحديث اعتماد مذهبه فيما بينهم، والتعويل عليه، واعتباره ردًّا وقبولاً، وأما غيره من المحدثين - وهم الجمهور - فتوسعوا في الشروط فكثُرَ حديثُهم[٣]

قلت: والصواب الذي لا معدل عنه: أن جماعةً من المشايخ

---

(١) «معرفة أنواع علوم الحديث» (ص: ٢٠٨) النوع السادس والعشرون.

(٢) الإمام السخاوي: «فتح المغيث» ٢/٢١٠ في أقسام التحمل والأخذ، ضمن التفريعات.

(٣) «تأريخ ابن خلدون» (٥٦١-٥٦٢).

كانوا على الغاية القصوى من الاحتياط في الرواية عن النبي ﷺ بالطريق المتعارف، يعني بانتسابه إلى النبي صلى الله عليه وسلم، مخافةَ أن يكون فيه شيءٌ من الوهم، فيدخلوا في وعيد القول على النبي صلى الله عليه وسلم بما لم يقله، ولذا شَدَّدَ عُمرُ رضي الله عنه كثرة الرواية في عصره.

قال أبو هريرة: لما ولي عمر رضي الله عنه قال: أَقِلُّوا الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا فيما يعمل [به][1].

وقال إبراهيم: إن عمر رضي الله عنه حبس ثلاثة: ابن مسعود، وأبا الدرداء، وأبا مسعود الأنصاري، فقال: لقد أكثرتم الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال أبو سلمة: قلت لأبي هريرة: أ كنتَ تُحَدِّثُ في زمان عمر رضي الله عنه هكذا ؟ فقال: لو كنتُ أحدث في زمان عمر مثل ما أحدثكم لضربني بمِخْفَقِتِه.

وخطب الصديق الأكبر رضي الله عنه فقال: إنكم تحدثون أحاديث تختلفون فيه، والناس بعدكم أشدُّ اختلافًا، فلا تحدثوا. انتهى ملخصًا.

وأوصى عمر رضي الله عنه قُرَظَةَ بنَ كعب لما سيَّرهم إلى العراق بأن أقلو الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم[1].

---

(1) رواه عبد الرزاق في «المصنف» ٢٦٢/١١ (جامع معمر بن راشد).

وقالت عائشة رضي الله عنها: جمع أبي الحديثَ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان خمس مائة حديث، فبات ليلة يتقلب كثيرًا، قالت: فَغَمَّني، فقلت: أ تتقلب عن شكوى أو لشيءٍ بلغك؟ فلما أصبح قال: أي بُنَيتيَّ! هَلُمِّي الأحاديث التي عندكِ، فجئتُه بها، فدعا بنار، فحرَّقها، فقلتُ: لِمَ حرَّقتَها ؟ قال: خشية أن أموت وهي عندي، فيكون فيها أحاديث عن رجل قد ائتمنتُه ووثقْتُه، ولم يكن كما حدثني، فأكون قد نقلت ذلك[٢]. فهذا لا يصح.

وأنت خبير بأن رواة الصديق لم يكونوا إلا صحابة، فكيف بمن بعدهم.

وأخرج الدارمي عن صالح الدَّهَّان: ما سمعت جابر بن زيد يقول قط: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، إعظامًا واتقاء أن يكذب عليه[٣].

وحكى الذهبي عن أبي عمرو الشيباني قال: كنت أجلس إلى ابن مسعود رضي الله عنه حولاً، لا يقول: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم»، فإذا قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم»، استقلَّته الرعدة، فقال: «هكذا أو نحو ذا، أو قريبًا من ذلك»[٤].

---

[١] «سنن ابن ماجه» (٢٨)، و«سنن الدارمي» ١/٣٢٩ (٢٨٨).

[٢] «كنز العمال» ١٠/٢٨٥ (٢٩٤٦٠).

[٣] «سنن الدارمي» ١/٣٣١ (٢٩١).

[٤] «تذكرة الحفاظ» ١/١٧.

وفي «الطبقات» لابن سعد عن عمرو بن ميمون قال: اختلفت إلى ابن مسعود سنة ما سمته يحدث فيها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا يقول فيها: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم»، إلا أنه حدث ذات يوم بحديث، فجرى على لسانه: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم»، فعلاه الكربُ حتى رأيت العرق ينحدر عن جبهته، ثم قال: إن شاء الله إما فوق ذاك، أو قريب من ذاك، وإما دون ذلك[1].

مع أنه صلى الله عليه وسلم أخبر بصدق روايته، فقال: «ما حدثكم ابن مسعود فصَدِّقُوه» أخرجه الترمذي[2].

وأخرج الدارمي عن أنس قال: لو لا أني أخشى أن أخطئ لحدثتكم بأشياء سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو قالها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذاك أني سمعته يقول: «من كذب علي متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار»[3].

وفي «الطبقات» لابن سعد: عن صهيب بن سنان يقول: هلُمُّوا نحدثكم عن مغازينا، فأَمَّا أن أقول: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم» فلا[4].

---

[1] «الطبقات الكبرى» ٣/١٥٦.

[2] رواه الترمذي في «جامعه» (٣٧٩٩) عن حذيفة رضي الله عنه، وحسَّنه.

[3] رواه الدارمي في «سننه» (٢٤١).

[4] «الطبقات الكبرى» ٣/٢٢٩.

وفي «الدارمي» عن عاصم: سألت الشعبي عن حديث، فحدثنيه، فقلت: إنه يُرفَع إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: لا، على من دون النبي صلى الله عليه وسلم أحبُّ إلينا، فإن كان فيه زيادة أونقصان كان على من دون النبي صلى الله عليه وسلم[1].

وعن إبراهيم: «نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن المحاقلة والمزابنة»، فقيل له: أ ما تحفظ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثًا غير هذا ؟ قال: بلى، ولكن أقول: قال عبد الله، قال علقمة، أحبُّ [إليَّ]. وغير ذلك من الآثار الكثيرة التي ذكرها صاحب «تذكرةالإمامالأعظم»، تركناها اختصارًا.

ولما كان الإمام الأعظم من تلامذة النخعي وغيره، ومتَّبعي ابن مسعود وعمر بن الخطاب، وهما كانا مراجع أسانيده لا يمكن أن لا يقتفي بآثارهم في ذلك، فلم يكثر الرواية المرفوعة الصريحة.

وسُئل الإمام الشافعي رضي الله عنه عن الحديث ؟ فأجاب بما حاصله: أن الصحيح من الروايات عند أهل الفن قليل جدًا حتى إن الصديق الأكبر رضي الله عنه ما روى أكثر من سبعة عشر حديثًا. وعمر بن الخطاب رضي الله عنه على طول زمانه لم يُروَ عنه أكثر من خمسين حديثًا.

---

(١) «سنن الدارمي» (٢٧٤)، وأثر إبراهيم فيه برقم (٢٧٥).

فعُلِمَ بذلك كله أن الإمام رضي الله عنه لم يُكثِر الرواية على الوجه المعتاد تورعًا، لا لعدم معرفته بالحديث، كما تقول به الجهلة المخادعون. كيف ؟ وكان رضي الله عنه عالم أحاديث الكوفة كما أقر به الفحول، وكانت الكوفة إذ ذاك مدينة العلم، وكان رضي الله عنه لا يترك محدِّثاً يدخل الكوفة إلا ويرسل إليه أصحابه يستخبر ما عنده من الأحاديث.

الفائدة السادسة
في رد ما نُقِم عليه بالإجمال

فتفاصيله لا يسعها المقام، فاعلم أن كثيرًا من الناس سلفًا وخلفًا أفرطوا في ذم إمام الأئمة، وتجاوزوا عن الحد في ذلك، وشنَّعوا عليه كثيراً من الأمور التي هو رضي الله عنه منها بريءٌ. وذلك لكثرة حُسَّاده في زمانه وبعده كما سترى. وبلغ كثيراً من الناس الغلط عن أحواله رضي الله عنه فكانوا معذورين في الطعن، ولذا رجع عنه من بلغ إليه الصحيح من حاله، كما تقدم عن الأوزاعي مبسوطًا، إذ قال: كنت في غلط ظاهر، الْزَم الرجلَ فإنه بخلاف ما بلغني عنه.

قال ابن عبد البر: كان أبو حنيفة يُحسَد ويُنْسَب إليه ما ليس فيه، ويُختَلق عليه ما لا يليق به[1].

---

[1] «جامع بيان العلم وفضله» ١٤٨/٢.

وأقبل عليه وكيع فقال: من أين ؟ فقال: من عند شريك. فأنشأ يقول:—

إن يحسدوني فإني غير لائمهم
قبلي من الناس أهل الفضل قد حُسِدوا
فدام لي ولهم ما بي وما بهم
ومات أكثرنا غيظًا بما يجدوا

قال وكيع: وأظنه كان بلغه عن شريك شيء.

وقال ابن عبد البر أيضًا: الذين رووا عن أبي حنيفة ووثقوه وأثنوا عليه أكثر من الذين تكلموا فيه، والذين تكلموا فيه من أهل الحديث أكثر ما عابوا عليه الإغراق في الرأي والقياس، وقد مرَّ أن ذلك ليس بعيب، وكان يقال: يستدل على نباهة الرجل من الماضين بتباين الناس فيه، ألا ترى أن عليًا كرم الله وجهه هلك فيه فئتان: محبٌّ أفرط، ومبغض فرَّط[1].

وقال عيسى بن يونس: لا تصدقن أحدًا يُسيء القول فيه، فإني والله ما رأيت أفضلَ منه، ولا أفقهَ منه.

وسئل الأعمش عن مسألة فقال: إنما يُحسِن جوابَ هذا النعمانُ.

وقال يحيى بن آدم: ما تقولون في هولاء الذين يقعون في

---

[1] انظر «جامع بيان العلم» ١٤٩/٢.

أبي حنيفة ؟ قال: إنه جاءهم بما يعقلونه وما لا يعقلونه من العلم، فحسدوه.

وقال ابن المبارك: رأيت الحسن بن عمارة آخذًا بركابه قائلاً: والله ما رأيت أحدًا يتكلم في الفقه أبلغ ولا أصبر ولا أحضر جوابًا منك، وإنك لسيد من تكلم في الفقه في وقتك غير مدافع، وما يتكلمون فيك إلا حسدًا.

وقال شعبة: كان والله حسن الفهم جيد الحفظ، حتى شَنَّعوا عليه بما هو أعلم به منهم، والله سيلقون عند الله.

وقال أسد بن حكيم: لا يقع فيه إلا جاهل أو مبتدع.

وقال أبو سليمان: كان عجبًا من العجب، وإنما يرغب عن كلامه من لم يَقْوَ عليه.

وقال أبو عمر بن عبد البر: وأهل الفقه لا يلتفتون إلى من طعن عليه ولا يصدقون بشيء من السوء نُسِبَ إليه.

وقال يحيى بن معين: أصحابنا يُفرِّطون في أبي حنيفة وأصحابه، فقيل له: أكان يكذب ؟ قال: هو أنبل من ذلك.

وفي «طبقات التاج السبكي»: الحذرَ كلَّ الحذر أن تفهم من قاعدتهم «أن الجرح مقدم على التعديل» على إطلاقها، بل الصواب أن من ثبتتْ عدالتُه وإمامتُه، وكَثُرَ مَادِحُوه ومزكُّوه، ونَدُرَ جارحوه، وكانت هناك قرينةٌ دالةٌ على سبب جرحه مِنْ

تعصب مذهبي أو غيره، لم يُلتَفت إلى جرحه[1].

ثم قال بعد كلام طويل: قد عرَّفناك أن الجارح لا يقبل جرحُه وإن فسره في حق من غلبت طاعاته على معصيته، ومادحوه على ذامِّيه، ومزكوه على جارحيه، إذا كانت هناك قرينة دالة يشهد العقل بأن مثلها حامل على الوقيعة فيه من تعصب مذهبي، أو منافسة دنيوية، كما يكون بين النظراء، حينئذ فلا يلتفت لكلام الثوري وغيره في أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه، وابن أبي ذئب وغيره في مالك، وابن معين في الشافعي، والنسائي في أحمد بن صالح، ونحو ذلك.

قال: ولو أطلقنا تقديم الجرح لَمَا سَلِمَ لنا أحدٌ من الأئمة، إذ ما من إمام إلا وقد طعن فيه طاعنون، وهلك فيه هالكون.

قال ابن عبد البر هذا باب غلط فيه كثيرون، وضَلَّت فيه فرقة جاهلية لا تدري ما عليها في ذلك، ثم قال: الدليل على أنه لا يقبل في حق من اتخذه جمهور الناس إمامًا في الدين قولُ أحد من الطاعنين، لأن السلف قد سبق من بعضهم في بعض كلامٌ كثير في حال الغضب، ومنه ما حمل على الحسد، وذكر من كلام الصحابة والتابعين وتابعيهم من النظراء بعضهم في بعض شيئًا كثيرًا لم يلتفت إليه أحدٌ من العلماء، ولا عَوَّلوا عليه، لأنهم بشر يغضبون ويرضون. فمن أراد أن يقبل قول العلماء بعضهم في بعض، فليقبل

---

(1) «طبقات الشافعية» للسبكي ١٨٨/١.

قول من ذكرنا من الصحابة بعضهم في بعض، وقول من ذكرنا من التابعين وأئمة المسلمين بعضهم في بعض، فإن فعل ذلك فقد ضلَّ ضلالاً بعيدًا، وإن لم يفعل، ولن يفعل إن هداه الله فليقف عند ما شرطناه، فإنه الحق الذي لا يصح غيره إن شاء الله.

ثم ذكر كلام كثيرين من نظراء مالك رضي الله عنه فيه، وكلام ابن معين في الشافعي[١].

وقيل لابن المبارك: فلان يتكلم في أبي حنيفة، فأنشد شعرًا: —

حسدوك إذا ما فضَّلك الله ... بما فضلت به النجباء.

وروى أبو عمر عن ابن عباس رضي الله عنهما: «خذوا العلم حيث وجدتموه، ولا تقبلوا قول الفقهاء بعضهم من بعض، فإنهم يتعايرون تعاير التيوس في الزريبة»، وكذلك جاء عن عمرو بن دينار[٢].

ومن ثمة ذكر في «المبسوط» في مذهب مالك: أنه لا يجوز شهادة القارئ على القارئ يعني العلماء، لأنهم أشد الناس تحاسدًا وتباغضًا.

قال ابن حجر: اعلم أن ما نقله الخطيب في «تأريخه» عن القادحين فيه لم يقصد بذلك إلا جمع ما في قيل في الرجل على عادة المؤرخين، ولم يقصد بذلك انتقاصه ولا الحَطَّ عن مرتبته،

---

[١] من «جامع بيان العلم وفضله» ٢/١٥٢ – ١٦٢ ملخصًا.

[٢] «جامع بيان العلم وفضله» ٢/١٥١.

بدليل أنه قدم كلام المادحين وأكثر منه، ثم عقَّبه بذكر كلام القادحين، ليتبين أنه من جملة الأكابر الذين لم يَسْلَمُوا من خوض الحُسَّاد والجاهلين فيهم.

ومما يدل على ذلك أن الأسانيد التي ذكرها للقدح لا يخلو غالبها من متكلم فيه أو مجهول، ولا يجوز إجماعًا ثَلْمُ عرض مسلم بمثل ذلك، فكيف بإمام من أئمة المسلمين، وبفرض صحته لا يعتد به، فإنه إن كان من غير أقران الإمام فهو مقلد لما قاله أو كتبه أعداؤه، أو من أقرانه فكذلك، لما مر أن قول الأقران بعضهم في بعض غير مقبول.

وقد صرح بذلك الحافظان الذهبي وابن حجر قالا: ولا سيما إذا لاح أنه بعداوة أو لمذهب.

قال التاج السبكي: إياك ثم إياك أن تُصغي إلى ما اتفق بين أبي حنيفة والثوري، أو بين مالك وابن أبي ذئب، أو بين أحمد بن صالح والنسائي، أو بين أحمد والحارث بن أسد المحاسبي، وهلُمَّ جرًا إلى زمان العز بن عبد السلام، والتقي بن الصلاح، فإنك إذا اشتغلت بذلك خشيت عليك الهلاك، فالقوم أئمة أعلام، ولأقوالهم محامل، وربما لم تفهم بعضها، فليس لنا إلا الترضي عنهم، والسكوت عما جرى بينهم، كما تقول فيما جرى بين الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين[1].

---

[1] «طبقات الشافعية» للسبكي ١٨٨/٤.

وحكى السيوطي عن ابن أبي داود قال: الناس في أبي حنيفة حاسد وجاهل، وأحسنهم عندي حالاً الجاهل.

وعنه أيضًا أنه قال: لا يتكلم فيه إلا رجلان: إما حاسد لعلمه، وإما جاهل بالعلم لا يعرف قدر حملته.

وحكي عن الخطيب عن أحمد بن عبد قاضي الري قال: كنا عند ابن أبي عائشة فذكر حديثًا لأبي حنيفة، فقال بعض من حضر: لا نريده، فقال لهم: أما إنكم لو رأيتموه لأردتموه، وما أعرف له ولكم مثلاً إلا ما قال الشاعر:-

أقلوا عليهم ويلكم لا أبا لكم
من اللوم أو سدوا المكان الذي سدوا[1].

وعلم بذلك أيضًا أنهم كانوا يبغضونه بدون الرؤية ومعرفة الأحوال بمجرد السماع، ويؤيده أيضًا ما حكى الشعراني عن أبي مطيع يقول: كنت يوماً عند أبي حنيفة في جامع الكوفة، فدخل عليه الثوري، ومقاتل بن حيان وحماد بن سلمة وجعفر الصادق وغيرهم من الفقهاء، فكلموه، وقالوا: بلغنا أنك تُكثِر من القياس في الدين، وإنما نخاف عليك منه فإنه أول من قاس إبليس، فناظرهم أبو حنيفة من بكرة نهار الجمعة إلى الزوال، وعرض عليهم مذهبه، فقاموا كلهم، وقبَّلُوا يديه وركبتيه، وقالوا:

---

(١) «تاريخ بغداد» ١٣/٣٦٥.

أنت سيد العلماء، فاعف عنا فيما مضى منا من وقيعتنا فيك بغير علم، فقال: غفر الله لنا ولكم أجمعين.

وبسط الشعراني في «ميزانه» فيما حكي عن الأئمة الأربعة من ذم الرأي.

وبسط القاري في «المرقاة» في رد من قال: إن الحنفية يقدمون رأيهم على السنة، وقال: إنما يسمون أصحاب الرأي، لدقة رأيهم، وحذاقة عقلهم[١].

وحكى الشامي عن الإمام أبي حنيفة أنه قال: إذا صح الحديث فهو مذهبي، وقال: نقله الشعراني عن الأئمة الأربعة[٢].

قلت: ومحل ذلك أن الحديث لم يطلع عليه الإمام، أما إذا عرف أنه اطلع عليه ورده أو تأوله بوجه من الوجوه فلا، كذا قال الحافظ في «الفتح».[٣]

وحكى الموفق عن يحيى بن آدم يقول: كان كلام أبي حنيفة في الفقه لله، ولو كان يَشُوْبُه شيءٌ من أمر الدنيا لم ينفذ كلامه في الآفاق كل هذا النفاذ، مع كثرة حُسَّاده ومنتقصيه.

وعن عبيد بن إسحاق: كان أبو حنيفة سيد الفقهاء لم يغمزه في دينه إلا حاسد أو باغي شر.

---

(١) «مرقاة المفاتيح» (باب الجماعة وفضلها) ٣/١٥٠ (١٠٨٤).

(٢) «مقدمة حاشية الشامي» ١/٦٨.

(٣) «فتح الباري» ٢/٢٢٣ (٧٣٩).

وعن عبد الرحمن بن مهدي قال: كنت نقالاً للحديث، فرأيت الثوري أمير المؤمنين في العلماء، وسفيان بن عيينة أمير العلماء، وعبد الله بن المبارك صراف الحديث، ويحيى بن سعيد قاضي العلماء، وأبا حنيفة قاضي قضاة العلماء، ومن قال لك سوى هذا، فَارْمِهِ في كناسة بني سليم.

وقال ابن حجر المكي: ووقع في [«المنخول»[١]] المنسوب للإمام الغزالي ذكر أشياء من ذلك (أي ما ينا في مرتبته [٢])، وإنما قلنا المنسوب، لأنه لم يصح نسبة جميع ما في هذا الكتاب إليه، فيحتمل أن تلك الألفاظ اختلقت عليه بدليل أنه مدحه في كتابه «إحياء علوم الدين» المتواتر عنه بما يليق بكمال أبي حنيفة، وأجاب بعض المحققين من الحنفية بأنه بتقدير صدور هذا من الغزالي، فهو في حال ابتداء أمره، فلما ترقى عن ذلك وطَهَّر أخلاقه ووصل إلى ما وصل إليه من الكمالات رجع عن ذلك، وذكر الحق في كتابه «الإحياء»[٣].

وقال ابن حجر أيضًا في ذكر مقاصده من التأليف: الثالث: تبين خطأ المتعصبين في قولهم: ما تكلمنا في أبي حنيفة وغيره إلا

---

(١) سقط من مقدمة «أوجز المسالك»، وأثبتُّه من «الخيرات الحسان» (ص ٣٤).

(٢) ما بين القوسين إدراج من الشيخ الكاندهلوي ضمن كلام ابن حجر المكي.

(٣) ١/ ٢٨.

لأن ذلك متعين علمه علينا لتباين أحوال الرجال، وتمايز أوصافهم التي عليها مدار الرواية والنقد والكمال، وكلامهم هذا من منوال كلام الخوارج، الذي قال فيه علي رضي الله عنه: كلمة حق أريد بها الباطل، فكذلك كلام أولئك حق في نفسه، لكن أريد به باطل، وأي باطل إذ لم يعتمدوا في ذلك إلا على كلمات صدرت من بعض معاصريه في حقه حسدًا له على ما آتاه الله من فضله، وكذلك صدر من بعض من جاء بعده كلمات نسبوها إليه لا تصدر ممن له أدنى كمال بل دين، وليس قصدهم إلا شينه وإخمال ذكره، ﴿ويَأبَى اللهُ إلا أن يُتِمَّ نُورَه ولَوْ كَرِهَ الكَافِرونَ﴾[1].

وتقدم ما قاله الأوزاعي: لقد كنت في غلط ظاهر، الزَم الرجلَ، فإنه بخلاف ما بلغني عنه.

وروي عن الإمام رضي الله عنه أنه يقول: إياكم ونقل ما لا يحبه الناس من الناس، عفا الله عمن قال فينا مكروهًا، ورحم الله من كان فينا جميلاً، وقيل له: الناس يتكلمون فيك، ولا تتكلم في أحد ؟ قال: هو فضل الله يؤتيه من يشاء.

وقال ابن حجر: إن الشافعي رضي الله عنه صلى الصبح عند قبره فلم يقنت، فقيل له، فقال: تأدباً مع صاحب هذا القبر، وزاد

---

[1] كذا في «الخيرات الحسان» (ص ٣٥)، ووقع في «مقدمة الأوجز»: ولو كره الحاسدون.

بعضهم إنه لم يجهر بالبسملة أيضًا، ولا إشكال في ذلك خلافًا لمن ظنه، لأنه قد يعرض للسنة ما يرجح ترك فعلها، لكونه الآن أهم منها، ولا شك أن الإعلام برفعة مقام العلماء أمر مطلوب متاكد، وأنه عند الاحتياج إليه - لرغم أنف حاسد أو تعليم جاهل- أفضل من مجرد فعل القنوت، والجهر بالبسملة، للخلاف فيهما وعدم الخلاف فيه، ولأن نفعه متعد، ونفع ذينك قاصر.

ولا شك أيضًا أن الإمام أبا حنيفة كان له حُسادٌ كثيرون في حياته وبعد مماته، حتى رموه بالعظائم، وسعوا في قتله تلك القتلة الشنيعة السابقة، ولا شك أيضًا أن البيان بالفعل أظهر منه بالقول، فاتضح أن فعل الشافعي رضي الله عنه ذلك أفضل من فعله القنوت والجهر، إظهارًا لمزيد التأدب مع هذا الإمام، ولمزيد شرفه وعلوه، وأنه من أئمة المسلمين، الذين يُقتدَى بهم، ويجب عليهم توقيره، وأنه ممن يُستَحيى منه ويُتأدب معه، من أن يفعل بحضرته خلاف قوله بعد مماته، فكيف في حياته، وأن الحاسدين له خسروا خسرانًا مبينًا، وأنهم ممن أضله الله على علم، وأجمل في «فيض الباري على البخاري» في حامديه وناقديه.

الفائدة السابعة
في مشايخه

قال ابن حجر المكي: هم كثيرون، لا يسع هذا المختصر ذكرهم، وذكر منهم الإمام أبو حفص الكبير أربعة آلاف شيخ، وقال غيره: له أربعة آلاف شيخ من التابعين. فما بالك بغيرهم ؟ منهم الليث بن سعد، وكذا مالك بن أنس إمام دار الهجرة، وهذان الإمامان من جملة الآخذين عنه أيضًا[١].

وحكى السيوطي عن الدراوردي قال: رأيت مالكًا وأبا حنيفة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد صلاة العشاء الأخيرة، وهما يتذاكران ويتدارسان حتى إذا رمى أحدهما على الذي قال به وعمل عليه أمسك أحدهما عن صاحبه من غير تعسف، ولا تخطئة لواحد منهما، حتى صليا الغداة في مجلسهما ذلك[٢].

قلت: وتقدم ما قال الإمام في جواب المنصور حينما سأله عمن أخذ العلم ؟ فقال: عن أصحاب عمر عن عمر، وعن أصحاب علي عن علي، وأصحاب عبد الله عن عبد الله. وقال مسروق: شامَمت أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فوجدت علمهم انتهى إلى ستة: علي، وابن مسعود، وعمر بن الخطاب، وزيد بن ثابت،

---

(١) «الخيرات الحسان» (ص ٥٦).

(٢) «تبييض الصحيفة» (ص ١١٤).

وأبي الدرداء، وأبي بن كعب، ثم شامَمت الستة فوجدت علمهم انتهى إلى علي، وابن مسعود، وعن أصحابهما أخذ الإمام كما تقدم.

وقال الشعراني الشافعي: جميع ما استدل به الإمام لمذهبه أخذه عن خيار التابعين، ولا يتصور في سنده شخص متهم بالكذب، وإن قيل: بضعف شيء من أدلة مذهبه، فذلك الضعف إنما هو بالنظر للرواة النازلين عن سنده بعد موته، وذلك لا يقدح فيما أخذ به الإمام عنه، كل من استصحب النظر في الرواة، وهو صاعد إلى النبي صلى الله عليه وسلم. وكذلك نقول في أدلة مذهب أصحابه، فلم يستدل أحد منهم بحديث ضعيف فرد لم يأت إلا من طريق واحد أبدًا، كما تتبعنا ذلك، إنما يستدل أحدهم بحديث صحيح أو حسن أو ضعيف قد كثرت طرقه حتى ارتفع لدرجة الحسن. وذلك أمر لا يختص بأصحاب الإمام أبي حينفة، بل يشاركهم جميع المذاهب كلها.

وعَدَّ منهم السيوطي في «تبييض الصحيفة» أربعةً وسبعين[1] نفرًا بأسمائهم، تركناها اختصارًا، ولا شك في أن العمدة في سلسلة فقه الإمام: حماد بن أبي سليمان عن النخعي عن علقمة عن ابن مسعود[2].

---

(١) قلت: بل ذكر ستةً وسبعين نفرًا، انظر «تبييض الصحيفة» (ص ٢٤ - ٤٦).

(٢) قلت: وقد ذكر الكلامَ على تراجم هؤلاء: الشيخُ المؤلف في الباب الأول من «مقدمة الأوجز» في ضمن ما قاله ابن عابدين وغيره: «الفقه زرعه ابن مسعود، وسقاه علقمة، وحصده إبراهيم النخعي، وداسه حماد، وطحنه أبو حنيفة، وعجنه أبو يوسف، وخبزه محمد». (ص ٦٢ - ٦٤ بتحقيق الشيخ تقي الدين الندوي).

الفائدة الثامنة
في تلامذته

قال ابن حجر: استيعابه متعذر لا يمكن ضبطه، ومن ثم قال بعض الأئمة: لم يظهر لأحد من أئمة الإسلام المشهورين مثل ما ظهر لأبي حنيفة من الأصحاب والتلاميذ. ولم ينتفع العلماء وجميع الناس بمثل ما انتفعوا به وبأصحابه، في تفسير الأحاديث المشتبهة والمستنبطة والنوازل. وذكر منهم بعض متأخري المحدثين نحو ثمان مائة مع ضبط أسمائهم ونسبهم.

قلت: لعله أشار إلى محمد بن محمد بن شهاب المعروف بابن البزار الكردري، فإنه ذكر في آخر مناقبه أسماء تلامذة الإمام قريبًا من ثلاث مائة من مشايخ الفقه والحديث.

قال أحمد بن حجر المكي الشافعي: وتلمذ له كبار من المشايخ والأئمة المجتهدين والعلماء الراسخين، كالإمام الجليل المجمع على جلالته عبد الله بن المبارك، والليث بن سعد، والإمام مالك بن أنس وناهيك بهولاء الأئمة، ومسعر بن كدام.

قلت: إحصاء تلامذة الإمام عسير جدًا، ذكر منها السيوطي في «تبييض الصحيفة» ثمانية وثمانين نفرًا[1]، نترك

---

[1] قلت: بل ذكر خمسةً وتسعين رجلاً، راجع «تبييض الصحيفة» (ص ٥٠-٧٩) لرضوان الله.

أسماءهم روماً للاختصار، وحكى الموفق عن ابن السمَّاك يقول: أوتاد الكوفة أربعة: الثوري، ومالك بن مغول، وداود الطائي صاحب أبي حنيفة، وأبو بكر النهشلي، وكلهم جالس أبا حنيفة وحدَّث عنه.

وكان عنده رضي الله عنه مجلس شورى لأهل العلم، يلقي عليهم مسألة مسألة، يُسمِع ما عنده، ويناظرهم شهرًا أو أكثر من ذلك حتى يستقر أحد الأقوال فيها، ثم يثبتها القاضي أبو يوسف في الأصول، واختلف أهل النقل فيهم قلة وكثرة، ولا اختلاف حقيقة، لأن التناوب في أمثال هذه المجالس معلوم، ذكر أسماءهم الموفق هكذا: القاضي أبو يوسف، ومحمد بن الحسن، وزفر بن الهذيل، والحسن بن زياد اللؤلؤي، ووكيع بن الجراح، وعبد الله بن المبارك، وبشر بن غياث، وعافية بن يزيد، وداود الطائي، ويوسف بن خالد السمتي، ومالك بن مغول البجلي، ونوح بن أبي مريم، وغيرهم.

الفائدة التاسعة
فيما يبني عليه مذهبه

قال ابن حجر: يتعين عليك أن لا تفهم من أقوال العلماء عن أبي حنيفة وأصحابه «إنهم أصحاب الرأي» أن مرادهم بذلك

تنقيصهم، ولا نسبتهم إلى أنهم يقدمون رأيهم على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا على قول أصحابه، لأنهم بُرَاء من ذلك، فقد جاء عن أبي حنيفة رضي الله عنه من طرق كثيرة ما ملخصه: أنه أَوَّلاً يأخذ بما في القرآن، فإن لم يجد فبالسنة، فإن لم يجد فبقول الصحابة، فإن اختلفوا أخذ بما كان أقرب إلى القرآن أو السنة من أقوالهم، ولم يخرج عنهم، فإن لم يجد لأحد منهم قولًا لم يأخذ بقول التابعين، بل يجتهد كما اجتهدوا.

وقال الفضيل بن عياض: إن كان في المسألة حديث صحيح تَبِعَه، وإن كان عن الصحابة أو التابعين فكذلك، وإلا قاس فأحسن القياس.

وقال ابن المبارك روايةً عنه: إذا جاء الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلى الرأس والعين، وإذا جاء عن الصحابة اخترنا، ولم نخرج عن أقوالهم، وإذا جاء عن التابعين زاحمناهم. وعنه أيضًا: عجبًا للناس يقولون: أُفتِي بالرأي، ما أُفتِي إلا بالأثر.

وعنه أيضًا: ليس لأحد أن يقول برأيه مع كتاب الله، ولا مع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا مع ما أَجْمَعَ عليه أصحابُه، وأما ما اختلفوا فيه فنَتَخيَّرُ من أقاويلهم أقربَهم إلى كتاب الله، أو إلى السنة. وسمعه رجلٌ يقايس آخر في مسألة، فصاح: دعوا هذه المقايسة، فإن من أول من قاس إبليس، فأقبل إليه أبو حنيفة، فقال: يا هذا! وضعتَ الكلام في غير موضعه، إبليس رَدَّ بقياسه

على الله تعالى أمرَه، فكفر بذلك، وقياسنا اتباعٌ لأمر الله تعالى، لأنا نرده إلى كتابه وسنة رسوله، وأقوال الأئمة من الصحابة والتابعين، فنحن ندور حول الاتباع، فكيف نساوي إبليس - لعنه الله - ؟ فقال له الرجل غلطتُ وتبتُ، فنَوَّرَ الله قلبك كما نوَّرْتَ قلبي.

وقال ابن حزم: جميع أصحاب أبي حنيفة مجمعون على أن ضعيف الحديث أولى عنده من القياس[١].

قال ابن حجر[٢]: الفصل الأربعون في ردِّ ما قيل: إنه خالف فيه صرائح الأحاديث الصحيحة من غير حجة، وهذا باب واسع جدًا يستدعي سرد جميع أبواب الفقه، فلنُشِرْ إلى قواعد إجمالية تنفع من استحضرها عند الأدلة التفصيلية.

واعلم أن ممن زعم ذلك من المتقدمين الثوري، وآخرين منهم أبو بكر بن أبي شيبة شيخ البخاري، وسبب صدوره ذلك منهم أنهم استروحوا، ولم يتأملوا قواعده وأصوله. ثم ذكر ابن حجر الأصول مفصلاً، نُلخِّص كلامه اختصارًا.

فقال: منها: أن خبر الواحد لا يقبل إذا خالف الأصول المجمع عليها، ومنها: عمل الراوي بخلاف مرويه، لأنه يدل على النسخ أو نحوه، ومن ثمة أخذ بعمل أبي هريرة بالغسل من ولوغ الكلب ثلاثًا

---

[١] «الخيرات الحسان» (ص ٦٩ - ٧٠).

[٢] المصدر السابق (ص ١٦٨ - ١٧٢).

مع روايته للسبع. ومنها: تفرده في عموم البلوى، بأن يحتاج كلُ واحد إلى معرفته، لأن العادة تقضي باستفاضة نقل مثله، فالانفراد واحد به قدح فيه، ومن ثمة لم يأخذوا بخبر نقض الوضوء بمس الذكر الذي يرويه بُسرةُ مع عموم الحاجة إلى معرفته.

قلت: وهذا الأصل مما لم يمكن الاحتراز عنه لأحد، ولذا اضطر الشيخ ابن العربي إلى قبوله.

ومنها: وروده في حدٍّ أو كفارة لسقوطهما بالشبهة، واحتمال خطأ الراوي المنفرد به شبهة.

ومنها: طعن بعض السلف فيه.

ومنها: وقوع الاختلاف في الصحابة في مسألة ورد فيها خبر الواحد، ولم يحتج أحد منهم به، فإعراضهم عن الاحتجاج به مع شدة عنايتهم بالأحاديث دليل على نسخه أو نحوه.

ومنها: مخالفته لظاهر عموم القرآن، لأن أبا حنيفة لا يرى تخصيص عمومه، ولا نسخه بخبر الواحد لأنه ظني، وذاك قطعي، وتقديم أقوى الدليلين واجب، ومن ذلك خبر: «لا صلا إلا بفاتحة الكتاب» مخالف لعموم قوله تعالى: ﴿فاقرؤوا ما تيسر منه﴾.

ومنها: مخالفته للسنة المشهورة لأن الخبر المشهور أقوى من خبر الأحاد، كخبر الشاهد واليمين، فإنه مخالفٌ لعموم الخبر المشهور: «البينة على المدعي واليمين على من أنكر».

وإذا تقرر ذلك عُلِمَ منه نزاهة أبي حنيفة رحمه الله مما نسبه إليه أعداؤه والجاهلون لقواعده، بل لمواقع الاجتهاد من أصلها، من تركه لخبر الأحاد لغير حجة، وأنه لم يترك خبرًا إلا لدليل أقوى عنده وأوضح، قال ابن حزم: جميع الحنفية مجمعون على أن ضعيف الحديث عند أبي حنيفة وفي مذهبه أولى من الرأي، فتأمل هذا الاعتناء بالأحاديث، وعظيم جلالتها وموقعها عنده.

ومن ثم قدم العمل بالأحاديث المرسلة على العمل بالقياس، فأوجب الوضوء من القهقهة – مع أنها ليست بحدث في القياس – للخبر المرسل فيها، ولم يقل بذلك في صلاة الجنازة، وسجدة التلاوة، اقتصارًا مع النص، فإنه إنما ورد في الصلاة ذات الركوع والسجود.

وقد قال المحققون: لا يستقيم العمل بالحديث بدون الرأي فيه، إذ هو المدرك لمعانيه التي هي مناط الكلام، ومن ثمة لما لم يكن لبعض المحدثين تأمل لمدرك التحريمة في الرضاع قال: بأن المرتضعَين بلبن شاة تثبت بينهما المحرمية، ولا العمل بالرأي المحض، ومن ثم لم يفطر الصائم بنحو الأكل ناسيًا، وأفطر بالاستقاء عمدًا مع أن القياس في الأول الفطر دون الثاني.

فقد بَانَ وَاتَّضَحَ أَنَّ الإمام إنما ترك بعض خبر الآحاد لهذه القواعد والأعذار التي أشرْنا إليها، ونبَّهْنَاك عليها، فَاحْذَرْ أن تَزِلَّ قدمُك مع من زَلَّ، أو يضل فهمك مع من ضل، فإنك إذًا تخسر أعمالك.

وحكى الشعراني عن الشقيق البلخي: كان أبو حنيفة من أورعِ الناس، وأعلمِ الناس، وأعبدِ الناس، وأكرمِ الناس، وأكثرِهم احتياطًا في الدين، وأبعدِهم عن القول بالرأي في دين الله، وكان لا يضع مسألةً في العلم حتى يجمع أصحابُه عليها ويعقد عليها مجلسًا، فإذا اتفق أصحابه كلُّهم على موافقتها للشريعة، قال لأبي يوسف وغيره: ضَعْها في الباب الفلاني.

وتقدم في بيان مرتبته في الحديث إذا وردت عليه المسألة قال: ما عندكم من الآثار ؟ فإذا رووها وذكر ما عنده، اختار الأكثر[1].



---

[1] قلت: وبه تم ما ذكره الإمام الشيخ ريحانة الهند محمد زكريا الكاندهلوي رحمه الله في الباب الرابع من مقدمة «أوجز المسالك إلى موطإ الإمام مالك»، من مناقب الإمام الأعظم أبي حنيفة رحمه الله ومحامده، ومكانته العلمية: الحديثية والفقهية والاجتهادية وغير ذلك.

وهذا آخر التعليق عليه من العبد الضعيف رضوان الله النعماني البنارسي، فرغ منه في نصف صفر من سنة ١٤٣٣هـ/ اليوم التاسع من يناير سنة ٢٠١٢م، يوم الثلاثاء، بعد المغرب.

والحمد لله أولاً وآخرًا وباطنًا وظاهرًا، والصلاة والسلام على من أُرسِل طَيبًا وطاهرًا، وعلى من بلغ سنته وآثاره، وصار للأمة سحابًا هامرًا.

الفهرس الإجمالي لهذا الكتاب

فهرس ذكر الإمام الأعظم

فهرس المراجع

التي استفيد منها في ترتيب الكتاب، والتعليق عليه، والتقديم له.

١- تقريب التهذيب .... للحافظ ابن حجر.

٢- تهذيب التهذيب .... للحافظ.

٣- جامع الأصول .... لابن الأثير الجزري.

٤- الإكمال .... للخطيب التبريزي.

٥- تذكرة الحفاظ .... لأبي عبد الله الذهبي.

٦- الطبقات الكبرى .... للإمام محمد ابن سعد.

٧- دُول الإسلام .... لأبي عبد الله الذهبي.

٨- وفيات الأعيان .... لأبي العباس أحمد ابن خلكان البرمكي.

٩- المنتخب من ذيل المذيل .... لأبي جعفر، ابن جرير الطبري.

١٠- تأريخ الخميس .... للشيخ حسين بن محمد الدياربكري.

١١- خزينة الأصفياء ....

١٢- مقدمة تنسيق النظام .... للشيخ محمد حسن السنبلي.

١٣- مرقاة المفاتيح .... للشيخ علي بن سلطان القاري.

☆☆☆☆☆

١٤- الانتقاء في فضائل الأئمة الثلاثة الفقهاء ...... لأبي عمر ابن عبد البر.

١٥- مناقب أبي حنيفة .... للإمام الموفق المكي.

١٦- الخيرات الحسان .... لابن حجر الهيتمي.

١٧- تأريخ بغداد .... للإمام أحمد بن علي الخطيب.

١٨- المتفق والمفترق .... للخطيب.

١٩- تبييض الصحيفة .... للشيخ جلال الدين السيوطي.

٢٠- فضائل أبي حنيفة .... لأبي القاسم ابن أبي العوام.

٢١- حياة الحيوان .... كمال الدين الدميري.
٢٢- تأنيب الخطيب .... للشيخ محمد زاهد الكوثري.
٢٣- مرآة الجنان وعبرة اليقظان .... لأبي محمد اليافعي.
٢٤- ربيع الأبرار .... للزمخشري.
٢٥- الكلم النوابغ .... للزمخشري.
٢٦- تهذيب الأسماء واللغات .... للإمام النووي.
٢٧- الملل والنحل .... للشهرستاني.
٢٨- إقامة الحجة .... للإمام عبد الحي اللكنوي.
٢٩- شرح شرح نخبة الفكر .... للقاري.
٣٠- العلل المتناهية .... لابن الجوزي.
٣١- تعليق تبييض الصحيفة .... للشيخ عاشق إلهي البرني.
٣٢- مقدمة التقريب .... للشيخ محمد عوامه المدني.
٣٣- الجواهر المضيئة .... للإمام عبد القادر القرشي.
٣٤- أخبار أبي حنيفة .... للقاضي أبي عبد الله الصيمري.
٣٥- شذرات الذهب .... لابن العماد الحنبلي.
٣٦- إحياء علوم الدين .... لأبي حامد الغزالي.
٣٧- سير أعلام النبلاء .... للذهبي.

☆☆☆☆☆

٣٨- مختصر سوانح أئمة أربعة .... للقاضي أطهر المباركفوري.
٣٩- تذكرة النعمان .... للشيخ محمد بن يوسف الشافعي.

